الشكوى والعتاب

وما وقع للخلان والأصحاب

لأبي منصور الثعالبي

المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

تم التحقيق والمراجعة

بقسم التحقيق بالدار



دار الصحابة للتراث بطنطا

الشكوى والعتاب

وما وقع للخلان والأصحاب

لأبي منصور الثعالبي
المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

تم التحقيق والمراجعة

بقسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا

لدار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:
طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

قال الله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1] .

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[2]

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[3] .

وبعـــد ..

فهذه صفحات من تراثنا الخالد يسر الله عز وجل لنا إخراجها ، والله يعلم كم كان جهدنا حتى تخرج فى أبهى صورة فنسأل الله العظيم أن يجعلها فى ميزان حسناتنا يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٠ ، ٧١ .

مقدمـــة :-

* نبـذة مختصرة عن عصر الثعـالبى :-

أولا : الحيـاة السياسية فى ذلك العصر :

فى منتصف القرن الثالث الهجرى أقام يعقوب بن الليث الصفَّار الدولة الصفارية فى إقليم بلوخستان شرقى إيران ومد حدودها حتى شملت كرمان جنوبى إيران وأفغانستان واستولى على خراسان التى كانت بيد الطاهريين ، وخلفه أخوه عمرو حتى سنة ٢٨٦هـ إذ قضى عليه السامانيون قضاء مبرما .

ويغلب الحسين بن زيد العلوى على طبرستان منذ سنة ٢٥٠هـ ويقيم بها دولة علوية يخلفه عليها أخوه محمد لسنة ٢٧٠هـ حتى هاجمه السامانيون ولم يلبثوا أن أسروه على أبواب جرجان وبذلك أجهزوا على الدولة العلوية كما أجهزوا على الصفارية من قبل .

ظلت هذه الدولة قائمة فترة طويلة فى عصر الدول والإمارات متقابلة مع الدولة البويهية التى سيطرت منذ أوائل هذا العصر على الأقاليم الجنوبية ، والجنوبية الغربية من إيران ، ومدت ذراعها إلى بغداد فسيطرت عليها وعلى العراق ، وكانت تقابلهما الدولة الزِّياريَّة التى سيطرت على طبرستان بعد زوال الدولة العلوية منها ، وقد مدت سلطانها على جرجان وبلاد الجبل أحيانا .

ولا يكاد ينتهى القرن الرابع الهجرى حتى يبزغ نجم الدولة الغَزْنوية .

وهكذا كانت تتقابل فى هذا العصر دول السامانيين والبويهيين والزياريين والغزنويين .

ثانيا : الحركة العلميـة :-

لا أظننا مغالين إذا ما قلنا إن القرنين الرابع والخامس الهجريين بإيران يُعدّان أزهى قرون عصر الدول على الإطلاق من حيث النهضة العلمية وبلوغها الأوج المنتظر ، ولعل مرجع ذلك إلى التنافس الذى نشأ بين أصحاب الإمارات حينئذٍ فقد مضى كل منهم يجهد جهداً بالغا فى أن يضم حوله علماء العصر ليزدان بهم بلاطه وتزدان بهم دولته ، وكى يبعثوا فى شباب الدولة الطموح إلى تحقيق ما لم يحققه العلماء قبلهم .

ولعل عضد الدولة البويهى خير مثال على هذا ، فقد كان يقدر العلم والعلماء ويُجرى الرواتب والأرزاق على الفقهاء والأدباء والقراء ، فرغب الناس فى العلم وكان هو نفسه يتشاغل بالعلم .

وكذلك كان الحال بالنسبة للسامانيين حتى قالوا إن خراسان جنَّة العلماء ، وكانت بها **نيسابور** أكبر مركز للعلم بإيران فى ذلك العصر ، ولا ننسى أن صاحبنا قد نشأ بها أعنى الثعالبى .

وبالمثل كانت الدولة الزيارية تُعنى فى طبرستان بالعلم والعلماء ، ولم تكن تقل عنها عناية الدولة الخوارزمية بأمرائها الثلاثة فى مدينة « خيوة » المعروف كل منهم باسم « مأمون خوارزم » .

وكثر حينئذٍ إهداء المؤلفين كتبهم للأمراء وكانوا أحياناً لايخصون بها أميراً واحدا بل ينتجعون بها أمراء الدول والإمارات المختلفة على نحو ما كان يصنع صاحبنا الثعالبى صاحب هذا الكتاب الذين بين أيدينا .

فقد أهدى كتابيه : (المبهج) و(التمثيل والمحاضرة) إلى « قابوس بن وشمكير » أمير طبرستان وجرجان .

وأهدى كتبه (النهاية فى الكناية) و(نثر النظم) و(اللطائف والظرائف) لمأمون بن مأمون أمير خوارزم ، وكتابه (لطائف المعارف) للصاحب بن عباد

وزير البويهيين ، وكتابيه (سحر البلاغة) و(فقه اللغة) للأمير أبى الفضل الميكالى راعى العلم والأدب فى نيسابور[١] .

كما أهدى كتاب (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) لعبيدالله بن أحمد الميكالى ، وكتاب (المتشابه) لصاحب الجيش أبى المظفر ناصر ، وكتاب فى الأدب بلا عنوان ألفه لمكتبة أبى سهل الحمدونى وزير السلطان الغزنوى مسعود[٢] .

علـوم اللغة والبلاغة والنقـد :-

نشط البحث فى اللغة نشاطاً واسعاً لهذا العصر إذ كثر العلماء الإيرانيون الذين تصدّوا للمباحث اللغوية ...

يقول بروكلمان :

« فى إيران دفعت الإمارات الكثيرة - المتنافسة بعضها مع بعض على الظهور - الفن الشعرى والدراسات العلمية إلى الارتقاء مرة أخرى ، وبينما كانت الفارسية الحديثة تغالب العربية فى الشعر أكثر فأكثر منذ عصر السامانيين نجد العربية تتزعم الموقف فى لغة العلم ، ولكن اخترعت للإيرانيين وسائل كثيرة فى لغتهم الوطنية لكى يتعلموا اللغة العربية »[٣] .

ولا شك أن هذا التنافس وذلك النشاط قد تمخضا عن أشياء كثيرة ، ودرر غالية ثمينة فكان أكبر ما نهضوا به وضع المعاجم واهتمامهم به قديم ، ولذلك لايكون عجبا أن أول نسخة تنشر من معجم العين للخليل بن أحمد - وهو أول معجم وضع فى العربية - إنما تنشر من خراسان .

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربى . عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) د. شوقى ضيف . ص٥٢٢ . ط. دار المعارف بمصر .

(٢) انظر : تاريخ الأدب العربى . كارل بروكلمان (١٩٠/٥) دار المعارف ١٩٧٧ .

(٣) المرجع السابق (١٨٥/٥) .

وظهر معجم الجمهرة لابن دريد ، ومعجم تهذيب اللغة للأزهرى المتوفى ٣٧٠هـ .

ثم ظهر الصحاح للجوهرى ، وبعده مختار الصحاح، وقدم أبوهلال العسكرى جمهرة الأمثال رتبه على حروف المعجم .

* موقف الثعالبى من هذه العلوم :

لم يفت **الثعالبى** أن يشارك فى هذه العلوم فقد كان له النصيب الأوفى فى النهوض بها وقدم العديد من الكتب فى هذا المجال وأشهرها كتاب (فقه اللغة وسر العربية) .

وفى مجال البلاغة نرى الثعالبى يشارك أقرانه ، وأساتذته فى هذا المجال وقدم لنا كتاب (سحر البلاغة وسر البراعة) وهذا الكتاب إن دل على شىء فإنما يدل على تمكن صاحبه من الأساليب البلاغية وترويضها بحسب ماتقتضيه المناسبة والمقال .

ويشارك فى علم النقد ، ففى كتابه اليتيمة نجده يعقد فصلا طويلا للحديث عن المتنبى فيما له وما عليه ، قد أورد فيه بعض أخباره وطائفة من معانيه التى استظهرها عِلْية الكتاب فى عصره برسائلهم من أمثال الصاحب بن عباد وأبى إسحاق الصابىء والخوارزمى والضّبِّى ، كما يعرض لطائفة من المعانى التى سرقها الشعراء منه ، وسرقات المتنبى من غيره ثم يسترسل فى بيان مساوىء شعره مستضيئاً فى ذلك بما كتبه الصاحب بن عباد فى رسالته ، ثم يفيض فى بيان محاسن شعره مشيداً بنسيبه بالأعرابيات ومخاطبة الممدوح بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، واستعمال ألفاظ الغزل والنسيب فى أوصاف الحرب وما اشتهر به من الأمثال والحكم وطرائف المعانى .

علم التاريخ والتراجم ودور الثعالبى فيه :-

تنوعت الكتابة التاريخية فى إيران كما تنوعت فى كل بلد عربى فكان هناك المؤرخون العامون للأمم والدول ، وهناك المؤرخون للمدن ، وهناك أصحاب التراجم العامة والخاصة .

وقدم الثعالبى كتابه (سيرة الملوك) وهو كتاب مفقود ، وقابله بكتاب (تحفة الوزراء) .

ولعل أبرز ما يؤكد هذا الجانب عنده كتاب (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) وهى تراجم لجميع الأقاليم العربية ومن نبغ فيها من شعراء العروبة من الأندلس حتى أقصى الشرق من أقاليم إيران ولها النصيب الأوفر من الاهتمام فقد شغلت من الكتاب نحو نصفه ، غير أنه عُنى بأشعار الشعراء والاختيار منها ولم يُعْن مثل أبى الفرج فى كتابه الأغانى بأخبار الشعراء إلا قليلا جداً لايكاد يشفى غلّة ، وأتبع الثعالبى اليتيمة بذيل لها سماه (تتمة اليتيمة) وهى واليتيمة تؤرخان لشعراء الدولتين : البويهية والسامانية ، وكذلك لشعراء الزياريين فى طبرستان والغزنويين فى غزنة .

وسار الباخرزى فى كتابه (دمية القصر) على غرار الثعالبى فى العناية بشعر الشعراء أكثر من أخبارهم ، وكأن الثعالبى هو المسئول عن هذا الاتجاه فى الترجمة للشعراء إذ عم وشاع لا فى إيران وحدها بل فى أقطار العالم العربى جميعها[1] .

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربى عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران) د. شوقى ضيف ص(٥٦١) .

ترجمة المصنف :-

هو أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الملقب بالثعالبى نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لأنه كان فرّاءً .

ولد بنيسابور سنة ٣٥٠هـ - ٩٦١م، وكانت وفاته سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م على الراجح ، فقد ذهب بعض المؤرخين من أمثال ابن العماد فى شذرات الذهب إلى أنه وفاته كانت فى سنة ٤٣٠هـ .

كان الثعالبى أديباً ناثراً ناظماً لغوياً إخبارياً بيانياً فكان من أئمة العربية بارعاً فى سائر الفنون ، طويل الباع فى الآداب ، رقيق العبارة ، دقيق المعانى ، كثير النادرة وافر الفاكهة ، اشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ وصنف الكتب الكثيرة الممتعة التى إن دلت فإنما تدل على كثرة اطلاعه وطول باعه .

أخذ عن أبى بكر الخوارزمى وغيره من علماء اللغة وأئمتها وأخذ الأدب عن أئمة عصره وانكبّ على العلوم العربية والفنون الأدبية فأتقنها جميعاً وبرّز فى كل نوع منها فأصبح زعيم شيوخ العلم فى زمانه لايعارض فى إمامته معارض ولايناقض فى إجماع أعيان الأدب على رئاسته مناقض ، وكيف لا وقد لهجت بذكره الركبان وتحدّث بفضله القاصى والدّان ، وأشرقت من تآليفه أنوار العلوم البهيّة فاستضاء بها البعيد الغريب ، وأينعت ثمار محاضراته الشهية فجناها الأليف القريب فعم فضله العرب والعجم فى غابر الدهور ، وامتد ظله إلى مستقبل العصور .

ولعل جولدسيهر[1] وبروكلمان كانا مصيبين فى بعض ما ذهبا إليه من أن الثعالبى قد انحط نشاطه المثمر إلى حد بعيد فى ميدان اللغة والعلوم الجميلة كنشاط من جاء بعده فأصبح عبارة عن مجرد جمع ليس فيه إلا الشكل السهل الطريف

---

(١) I. Goldziher, SBWA, Bd. 73 (1873) S. 539

وهكذا لم يخجل الثعالبى أن ينقل مواضع كاملة من كتب أسلافه بلا إشارة إليهم[1] .

والذى دعانى إلى تأييدهما فى هذا الرأى مارأيته فى الكتاب الذى بين يدى كتاب (الشكوى والعتاب) من جمل وتراكيب منقولة بحذافيرها من كتب السالفين والمعاصرين له ، كما أن الكتاب جاء فى جملته غير خاضع لمنهج معين ولا لأسلوب يظهر من خلاله الثعالبى بفكره وتعبيره .

ثنـاء العلمـاء عليـه :

قال عنه ابن بسَّام صاحب الذخيرة :

« كان فى وقته راعى تلعات[*] العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين فى زمانه ، وإمام المصنفين بحكم أقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب ، طلوع النجم فى الغياهب ، وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راوٍ لها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف »[2]ا.هـ .

وقال عنه الذهبى :

« الأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية السائرة فى الدنيا »[3]ا.هـ .

وقال عنه ابن كثير :

« كان إمامًا فى اللغة والأخبار وأيام الناس بارعاً مفيداً له التصانيف الكبار فى النظم والنثر والبلاغة والفصاحة »[4]ا.هـ .

---

(١) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان . ترجمة د. رمضان عبدالتواب (٥/١٨٦) .

(*) فى شذرات الذهب لابن العماد [بليغات] ، وتلعات : جمع تلعة وهو ما ارتفع من الأرض .

(٢) نقلاً عن وفيات الأعيان (٣/١٧٨) ، وشذرات الذهب (٣/٢٤٦) .

(٣) العبر فى أخبار من غبر للذهبى (٢/٢٦٣) .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/٤٤) .

وقال فيه الباخرزى صاحب « دمية القصر » :

« إن الثعالبى هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكر الأعيان فضله » اهـ .

مصـــادر الترجمـــة :-

- البداية والنهاية لابن كثير (١٢/٤٤) .
- شذرات الذهب لابن العماد (٣/٢٤٦) .
- ذخائر التراث العربى الإسلامى (٢/٤٢٢) .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/١٧٨) .
- العبر فى أخبار من غبر للذهبى (٢/٢٦٣) .
- تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان (٥/١٨٥-١٩٧) .
- تاريخ الآداب العربية . رشيد يوسف عطاالله (ساروفيم فيكتور) تحقيق د. على نجيب عطوى . (١/٤١٧) .
- تاريخ الأدب العربى عصرالدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) د. شوقى ضيف .
- الأعلام لخير الدين الزركلى (٤/١٦٣-١٦٤) .
- معجم المؤلفين لرضا كحالة (٦/١٨٩) .
- كشف الظنون لحاجى خليفة .

مصنفـــاته :-

له مصنفات كثيرة جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم ، وأحوالهم وفيها دلالة على كثرة اطلاعه ، وله أيضا أشعار كثيرة من أهم هذه المصنفات :

١ – يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر . (مطبوع) فى أربعة أجزاء .

٢ – فقه اللغة وسر العربية . (مطبوع) .

٣ – سحر البلاغة وسر البراعة . (مطبوع) .

٤ – من غاب عنه المطرب . (مطبوع) .

٥ – غرر أخبار ملوك الفرس . (مطبوع) .

٦ – لطائف المعارف . (مطبوع) .

٧ – ماجرى بين المتنبى وسيف الدولة . (مطبوع) .

٨ – طبقات الملوك . (مخطوط) .

٩ – الإعجاز والإيجاز . (مطبوع) .

١٠ – خاص الخاص . (مطبوع) .

١١ – نثر النظم وحل العقد . (مطبوع) .

١٢ – مكارم الأخلاق . (مطبوع) .

١٣ – ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب . (مطبوع) .

١٤ – سر الأدب . (مطبوع) .

١٥ – الكناية والتعريض ويسمى « النهاية فى الكناية » . (مطبوع) .

١٦ – المؤنس الوحيد . (مطبوع) .

١٧ – التجنيس ويسمى « كتاب الأجناس والتجنيس » . (مخطوط) .

١٨ – غرر البلاغة . (مخطوط) .

١٩ – برد الأكباد فى الأعداد . (مطبوع) .

٢٠ – الأمثال المسمى « بالفرائد والقلائد »
ويسمى أيضا « العقد النفيس ونزهة الجليس »(*) (مطبوع) .

٢١ – مرآة المروءات وأعمال الحسنات . (مطبوع) .

٢٢ – كتاب الغلمان . (مخطوط) .

٢٣ – تحفة الوزراء . (مطبوع) .
وهو يقابل كتابه المفقود : « الكتاب الملوكى » أو« سيرة الملوك » .

٢٤ – كتاب التمثيل والمحاضرة . (مطبوع) .

٢٥ – أحسن المحاسن . (مخطوط) .
ذكره الزركلى فى الأعلام وقال بروكلمان فى كتاب « تاريخ الأدب العربى » : هو فى الحقيقة كتاب الأهوازى وإن كانْ الذهبى فى تاريخ الإسلام يعده من أهم كتب الثعالبى .

٢٦ – اللطائف والظرائف . (مطبوع) .

٢٧ – أحسن ما سمعت . (مطبوع) .

٢٨ – أحاسن كلام النبى والصحابة والتابعين
وملوك الجاهلية والإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء (مطبوع)

٢٩ – الشكوى والعتاب وما وقع بالخلان والأصحاب .
وهو كتابنا هذا الذى بين أيدينا .

٣٠ – الاقتباس من القرآن الكريم . (مطبوع) .

٣١ – لباب الآداب . (مطبوع) .

٣٢ – كتاب المبهج . (مطبوع) .

٣٣ – المقصور والممدود . (مخطوط) .

٣٤ – يواقيت المواقيت . (مطبوع) .

(*) نشرته دار الصحابة للتراث بطنطا تحت هذا العنوان .

٣٥ – شعر الثعالبى جمعه وحققه : عبدالفتاح محمد الحلو. (مطبوع)

٣٦ – كتاب المتشابه . (مطبوع) .

٣٧ – سجع المنثور . (مخطوط) .

٣٨ – درر الحكم .

٣٩ – قراضة الذهب ومعدن الأدب .

٤٠ – معرفة الرتب فيما ورد من كلام العرب .

٤١ – المنتخب من سمر العرب .

٤٢ – تحسين القبيح وتقبيح الحسن . (مطبوع) .

٤٣ – مواسم العمر .

٤٤ – الأنوار البهية فى تعريف مقامات فصحاء البريّة .

٤٥ – العشرة المختارة .

٤٦ – نسيم الصبا ، وهو كتاب فى المترادفات .

٤٧ – الأنوار فى آيات النبى .

٤٨ – كتاب التوفيق للتلفيق . (مطبوع) .

٤٩ – شمس الأدب فى استعمال العرب . (مخطوط) .

٥٠ – تتمة اليتيمة (أو ذيل اليتيمة) . (مطبوع) .

٥١ – أمل الآمل . (مطبوع) .

مراجـع إثبات الكتب للمؤلف :

ولقد رجعت فى إثبات هذه المصنفات للمؤلف إلى كتب التراث الهامة ومن أهمها :-

- كشف الظنون لحاجى خليفة (مواضع متفرقة) .
- معجم المؤلفين لرضا كحالة . (١٨٩/٦) .
- الأعلام لخير الدين الزركلى (١٦٣/٤-١٦٤) .
- تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان (١٨٥/٥-١٩٧) .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (١٧٨/٣) .
- شذرات الذهب لابن العماد (٢٤٦/٣) .
- ابن كثير فى البداية والنهاية (٤٤/١٢) .
- ذخائر التراث العربى الإسلامى (٤٢٢/٢-٤٢٧) .

وصــف المخطــوط

أوفى لنا حكم القدر بالاطلاع على هذه النسخة المصونة بدار الكتب المصرية العامرة ، فأردنا نشرها وإخراجها للنور بعد أن ظلت زمنًا متوارية عن الأعين والأسماع .

وُجِدت المخطوطة تحت رقم القاهرة ثانى (٣-٢٣٦) .

الفن : أدب (١٦٧٣) .

ميكروفيلم : ١٦٥٢٤

وتقع المخطوطة فى اثنين وأربعين ورقة بأربع وثمانين صفحة فى الصفحة الواحدة حوالى واحد وعشرون سطراً ، وفى السطر الواحد تسع كلمات فى المتوسط .

ولقد استطعت بفضل الله تعالى الوصول إلى صحة نسبتها إلى المؤلف فلقد ذُكرت فى كتاب « تاريخ الأدب العربى » لكارل بروكلمان (١٩٦/٥) ، وكتاب (الأعلام) للزركلى (١٦٤/٤) .

ونسأل الله التوفيق والسداد والرشــاد

فهو سـبحانه أكرم مســئول

وأبـرّ مأمـول

تصغير ١٨٥

الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب
تأليف لأبي منصور الثعالبي رضي الله عنه
وأرضاه وجعل الجنة
منقلبه ومثواه

آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عمومية ٣٧٤٠٧

... بعون الله الملك الوهاب ثاني عشر ربيع الأول سنة خمسة وثمانين ... والحمد لله وحده ... اللهم اغفر لكاتبه ولقارئه ...

بعض الأذى خوف مثله ... وداريت من نفسي لنفسي فعزت ... وجرعتها المكروه حتى تدربت ...
كف النفس الغني ... إلى غير من قد أشكوني ... الارب ذل ساق للنفس عزة ...
إن الصبر عزم ... وارضى ... وإن هي قلتها انشد ... للخواص ...
د ماذا أنت لا بسر ... فتلك خلعة ساق عنده جرعه
... ها نوبان تجمعهما ... قلبا يرى ربه الأعياد والجمعا
... إن تلقى الحبيب ... يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
... عيننا يا أملي ... والعيد ما دمت مرأى ومستمعا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

الباب الأول

في العتاب والشكوى والتثريب والبث والاستعطاف وما أشبه ذلك عن أنس رضي الله عنه خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون عليه فما قال لي أف فيها قط وما قال لي فعلت هذا وألا فعلت وقال صلى الله عليه وسلم إذا زنت خادمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب ... ولا يعيرها ... عثمان عليا رضي الله عنهما وعلى مطرف فقال مالك لا تقول فقال إن قلت لم أقل إلا ما تكره وليس لك عندي إلا ما تحب ... في الإنجيل إن ظلمك أخوك فاذهب إليه فعاتبه فيما بينك وبينه فقط فإن طاعك ربحت أخاك وإن هو لم يطعك فاستتبع رجلا أو رجلين ليشهدا عليه ذلك الكلام فإن لم يستمع فانه أمره إلى أهل البيعة فإن هو لم يسمع من أهل البيعة فليكن عندك كصاحب المكس ... عن عيسى صلوات الله عليه إذا كانت بينك وبين أخيك معاتبة فالقه فسلم عليه فاستغفر لك وله فإن قبل فأخوك وإن أبى فاستشهد عليه شاهدين أو ثلاثة أو أربعة فعلى ذلك تقوم شهادة كل شيء في مجلس قومه فإن قبل فأخوك وإن أبى فليكن كصاحب مكس أو كمن كفر بالله وقال أبو الدرداء رضي الله عنه معاتبة الأخ أهون من فقده ومن لك

باخيك

راه الهرمزان قال هذا هو الملك الهني عدلت فامنت فنمت والله اني قد خدمت
اربعة من ملوك الاكاسرة واصحاب التيجان فما هبت احدا منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة

٭ لا فشل في عبد الملك ٭ تسمو العيون الى امام عادل ٭ معطى المهابة نافع ضرارها
٭ وترى عليه اذا العيون رمقنه ٭ سيما التقي ومهابة الجبار

تذاكروا اشراف الجاهلية في مجلس عبد الله بن الزبير فقال ان كنتم لا بد فاعلين
فاذكروا عبد الله بن جدعان فما اقتسم الشرف الا بعده وقيل اصاب الناس بالبصرة
مجاعة وكان ابن عامر يغدي عشرة الاف ويعشي مثلهم حتى انجلت الازمة فكتب
اليه عثمان يجزيه خيرا وامر له باربعة الاف معونة على نوايبه وكتب اليه لقد
رفعك السودد الى موضع لا يناله الا الشمس والقمر فتوخى ان يكون ما اعطيت لله
فانه لا شرف الا ما كان فيه وله وقال رجل لفضيل عظني فقال له كن ذنبا
ولا تكون راسا حسبك والله سبحانه وتعالى اعلم تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى
وعونه وحسن توفيقه في ثامن عشر شهر الحجة الحرام
من شهور سنة اربعة وثمانين والف من الهجرة النبوية
على يد الافقر عثمان واحوجهم الى الله علي محمد العمري
غفر الله عنه والحمد لله وحده

بين يدى الكتاب

لقد افتقدنا فى وقتنا هذا ذلك العالم الشمولى الذى إن سئل عن شىء أجاب عنه بأكثر من علم ومن رأى ، وأصبح العلم فى زمننا هذا علما تخصصيا لايتجاوز العالم فيه حدود علمه الذى تخصص فيه بل لايكاد يتجاوز حدود الفكرة الواحدة إلى غيرها من الأفكار ولعل هذا من سنة التطور فبعد أن كان ينظر الرجل فى القدم إلى الجبال والأشياء الضخمة ويوجه إليها تفكيره أصبح رجل اليوم يصرف همه وعلمه إلى الذرة وما دق منها ...

وعلى درب الربط بين الأصالة والتجديد نقدم لك أخى القارىء ذلك الكتاب القيم الذى شمل علومًا جمة جمع فيه مؤلفه بين الأدب ، والتاريخ ، وعلم الحديث ، والفقه ليكون نبراسا لك على درب العلم ..

جعله مؤلفه مختارات فى عشرة أبواب :

الباب الأول :

تحدث فيه عن المعاتبة والتثريب والشكوى مستشهداً ببعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الآثار عن الصحابة والتابعين ، وأكثر كعهدنا به من الاستشهاد بالأبيات الشعرية مؤكداً أن المعاتبة قد تؤدى إلى فراق الصديق ، ويحثنا على التغاضى عن هفوات الأصدقاء حتى تدوم المحبة والألفة .

الباب الثانى :

تكلم فيه عن العبيد والإماء وماجاء فيهم من الأحاديث الشريفة التى تحثنا على الاستيصاء بهم ومعاملتهم معاملة كريمة حسنة ، واسترشد بآثار عن الصحابة والتابعين وكيف أنهم كانوا يقفون عند كتاب الله وسنة نبيه ويتحلون بكريم الخصال وعظيمها فى عتق العبيد وتزوج الإماء بعد عتقهن .

البـاب الثالث :

تناول فيه الأخلاق الذميمة كالعداوة والبغضاء والمشاحنة والحقد والحسد والشماتة والوعد والوعيد ، وبين من خلال تلك النماذج التى عرض لها أن الحاسد ناقم على نعم الله فهو عدو الله ، والحاسد هو الذى يضر بنفسه فى حين أن المحسود يتنعم بنعم الله عليه .

ثم يعرض لبعض مظاهر البغضاء والشماتة والوعد والوعيد .

البـاب الرابع :

تحدث فيه عن كريم الصفات وممدوحها كالعدل والإنصاف واستعمال السوية فى القسمة وغيرها ، وبين أن العدل أساس الملك ، والملك العادل يكسب حب رعيته له ، كما يكسب أعظم من ذلك وهو رضا الله عنه ، وكشف عن بعض الحقائق التى نفتقدها فى عصرنا بل تذهب أنفسنا حسرات عليها .. وأهمها كيف أن الحكام كانوا ينصفون المظلوم ويأخذون له حقه من الظالم .. وكيف كان الوالى يفرغ نفسه لسماع شكوى المظلومين ، وكيف أن الحكام كانوا أمناء على أموال المسلمين وما أحوجنا ونحن فى هذه الأيام إلى مثل هذه النماذج ..

البـاب الخامـس :

تناول فيه مذموم الصفات كالعجز والتوانى والكسل والبطء ، وقد بين فيه كيف أن الرسول ﷺ حذرنا من الكسل والعجز والبطء ، وكيف أن التوانى والبطء يؤديان إلى أضرار وخيمة ثم تكلم عن النسيان وأضراره وأسبابه .

البـاب السادس :

ذكر ماجاء فى العفاف والورع والعصمة ، وذكر الحلال والحرام تناول فى هذا الباب الحديث عن الورع وأثره فى الدنيا وفى الآخرة والعفة وصيانة النفس وما لذلك من نتائج وآثار حسنة على الفرد والمجتمع .

الباب السابع :

ذكر فيه العجائب والنوادر وما خرج عن العادات .. وتناول فيه عجائب الدنيا فى وقته وأهم غرائب وعجائب الحيوان ، وعجائب بابل وغيرها .

الباب الثامن :

فى العشق ومن بُلى به وأخبارهم ، ذكر فيه أمثلة للعاشقين الذين وقعوا فى أسر النساء والجوارى وهاموا بهن ، وتناول من مات كمدًا منهم ، ومن رق لهم وترحم عليهم .

الباب التاسع :

فى مدح العقل والفطنة والشهامة والتدبير والرأى والتجارب والنظر فى العواقب .

مستضيئا بما ورد عن الرسول ﷺ من أحاديث وعن الصحابة من آثار وأقوال العلماء والحكماء والبلغاء والفلاسفة مضمنا هذا كله بأبيات من الشعر .

الباب العاشر :

فى العمل والكد والتعب والشغل والعزم والنية والكفاية والكيس ، والعجلة والسرعة والعدو وحسن التأنى فى الأمور ، وانتهاز الفرص .

وكمنهجه فى الأبواب السابقة راح يُناقش تلك الأفكار بما ورد فيها من آثار وأخبار وروايات وغير ذلك .

وهكذا نكون – أخى القارىء – قد عرضنا بشىء من الإيجاز لما فى الكتاب من درر ، فتعال بنا نتصفح سطوره المضيئة ونقف على أفكاره ونتحلى بما فيه من عظيم الصفات ونتراجع ونجتنب ما فيه من مذموم الأخلاق فعسى الله أن ينفعنا به فى الدنيا والآخرة فهو حسبنا ونعم الوكيل ..

والحمد لله أولا وآخراً ،،

عملى فى الكتــاب

حاولت جاهداً مستعينا بالله عز وجل أن يخرج هذا الكتاب فى أبهى صورة ، وأجلى مضمونا ومعنى ولقد سلكت فى عملى فى هذا الكتاب عدة خطوات أهمها :

١ – قمت بشرح بعض المفردات المبهمة وفك طلاسمها .

٢ – عزوت بعض الآثار إلى مصادرها ما أمكننى ذلك .

٣ – عزوت الآيات القرآنية الواردة فى ثنايا الكتاب إلى سورها .

٤ – قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة وعزوها إلى مصادرها ، وتصدير هذا التخريج بدرجة الحديث ما أمكننى ذلك من خلال كلام العلماء وخاصة حافظ الوقت الشيخ ناصر الدين الألبانى – حفظه الله تعالى – .

٥ – وضعت بعض العناوين الداخلية داخل معكفين للتسهيل على القارىء .

٦ – عزوت بعض الأخبار التاريخية والرسائل إلى كتبها .

٧ – قمت بعمل مقدمة عن المؤلف وعصره وأعقبتها بمقدمة عن الكتاب ومنهج المؤلف فيه .

وأخيراً أسأل الله تعالى أن ينفع به كل من ساهم فى إخراجه إلى النور ، وأن ينفع به المسلمين على الدوام ورحم الله مؤلفه رحمة واسعة ، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتنا يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ..

الباب الأول : فى العتاب والشكوى والتثريب[1] والبث[2] والاستعطاف وما أشبه ذلك .

[ما جاء فى العتــاب]

عن أنس رضى الله عنه قال : « خدمت النبى ﷺ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ، ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن [أكون] عليه ، فما قال لى أُفٍّ قط ، وما قال لى : [لم] فعلت هذا ؟ أو ألّا فعلت [هذا ؟] »[3] .

وقال ﷺ : « إذا زنت خادمة أحدكم فليجلدها للحد ولايثرب »[4] وروى : « ولا يعيرها » .

---

(١) **التثريب** : ثَرَّب فلانٌ فلانًا : عيَّره ولامه وعاتبه .

[المعجم الوسيط (٩٤/١)]

(٢) **البَثُّ** : أشدُّ الحزن الذى لايصبر عليه صاحبه فيبُثُّه .

[الوسيط (٣٨/١)]

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم ح (٢٣٠٩) .
وأبوداود (٤٧٧٤) ، وأحمد (٢٢٧/٣ ، ٢٣١ ، ٢٦٥) والترمذى (٢٠١٥) .
وما بين المعكوفات أثبتناه من رواية مسلم .

(٤) **حديث صحيح**: أخرجه البخارى بنحوه فى الحدود (٢١٣/٨) ، ومسلم ح (١٧٠٣) وأبوداود (٤٤٧١) ، وأحمد (٢٤٩/٢) .

عاتب عثمان علياً رضى الله عنه وعلى مطرق[٥] فقال : مالك لا تقول ؟ فقال : « إن قلت لم أقل إلا ما تكره وليس لك عندى إلا ما تحب » .

ومكتوب فى الإنجيل : « إن ظلمك أخوك فاذهب إليه فعاتبه فيما بينك وبينه فقط ، فإن أطاعك ربحت أخاك ، وإن هو لم يطعك فاستتبع رجلاً أو رجلين ليشهدا عليه ذلك الكلام فإن لم يستمع فَأَنْه أمره إلى أهل البيعة[٦] فإن هو لم يسمع من أهل البيعة فليكن عندك كصاحب المكس »[٧] .

وروى عن عيسى – صلوات الله عليه – « إذا كانت بينك وبين أخيك معاتبة فألقه فسلم عليه فاستغفر لك وله فإن قبل فأخوك ، وإن أبى فاستشهد عليه شاهدين أو ثلاثة أو أربعة فعلى ذلك تقوم شهادة كل شىء فى مجلس قومه فإن قَبِلَ فأخوك وإن أبى فليكن كصاحب مكس أو كمن كفر بالله » .[٨]

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : « معاتبة الأخ أهون من فقده ومن لك بأخيك كله »[٩] .

خَلِيلَىَّ لو كان الزمانُ مساعدى ... وعاتبتمانى لم يضق عَنْكُما صدرى
فأما إذا كان الزمانُ محاربى ... فلا تجمعا أن تؤذيان مع الدهرِ

---

(٥) **مطرق** : أطرق : أمال رأسه إلى صدره ، وسكت فلم يتكلم .
[الوسيط (٥٥٥/٢)]

(٦) **أهل البيعة** : المقصود العُبَّاد من النصارى .

(٧) **المكس** : الضريبة والجباية التى يأخذها المُكَّاس ممن يدخل البلد من التجار .

[الوسيط (٨٨١/٢)]

وقد ذكر ابن قتيبة هذا الخبر فى كتابه « عيون الأخبار » (٣٤/٣) .

(٨) يوافق هذا القول ما سبق ويؤكده .

(٩) ورد هذا القول فى « عيون الأخبار » (٣٤/٣) ، « وبهجة المجالس » للقرطبى (٧٠٢/١) .

وكتب **الصولى**[١٠] إلى ابن الزيات هذه الأبيات :

وكنتَ أخي بإخاء[١١] الزمانِ فلما نَبَا[١٢] كنت[١٣] حرباً عوانا[١٤]
وكنتُ أذُمُّ إليك الزمانَ فأصبحتُ فيك أذم الزمانا[١٥]

وكتب إليه :

أخ كنت آوى منه عند ادِّكاره إلى ظل فتيان من الغر بازخ
سعت نوب الأيام بينى وبينه فأقلعن ميل عن ظلوم وصارخ[١٦]
وإنى لإعدادى لدهرى محمداً كملتمس [أطفا عنا (...)][١٧] بنافخ

وعن إياس بن معاوية[١٨] : « خرجت فى سفر ومعى رجل من الأعراب فلما كان ببعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا وإلى جانبهما شيخ من الحى

---

(١٠) **الصولى** : هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول - أبوإسحاق . أصله من خراسان له شعر جيد .

[الأعلام للزركلى (٤٥/١)]

(١١) فى الأصل [يأخا] والصواب ماأثبتناه من « عيون الأخبار » (٨٥/٣) .
(١٢) **نبـا** : جفا وتغير .

(١٣) فى « عيون الأخبار » [صرت] .

(١٤) **عوانا** : أى حربًا شديدة .

(١٥) البيتان فى « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٨٥/٣)

وفيهما مخالفة شرعية إذ أن الله - عز وجل - نهى عن سب الدهر (الزمان) فقال تعالى فى حديثه القدسى الجليل : « **يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار.** » [رواه البخارى] .

(١٦) ورد البيتان فى « محاضرات الأدباء » (٢٢/٢) وسياقهما هكذا :

أخ كنت آوى منه عند ادِّكاره إلى ظل آباءٍ من العزِّ شامخ
سعت نُوَبُ الأيام بينى وبينه فأقلعن منا عن عدوٍ وصارخ

(١٧) كذا بالأصل ، ولعل الصواب [إطفاء نارٍ] .
(١٨) يضرب به المثل فى الذكاء ، وهو أحد عجائب الدهر من البصرة .

فقال لهما : أنعِمَا عيشاً ، إن المعاتبةَ تبعث التجنّى ، والتجنى يبعثُ المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ، ولا خير فى شيء ثمرته العداوة[١٩] .

شـــعر :

فدع ذكرَ العتابِ فربَّ شرٍّ طويـلٍ هاج أولـــه العتـــابُ

قال رجل لصديق يعاتبه : « ما أشكوك إلا إليكَ ولا أستبطئُك إلا لك ولا أستزيدكَ إلا بكَ وقال له : أنا منتظر واحدةً بين اثنين عُتبى يكون منك ، أو عُقْبىَ تغنى عنك وقال له : قد حميتُ جانب الأمل فيك ، وقطعتُ أسباب الرجاء منك ، وقد أسلمنى اليأس منك إلى العزاء عنك ، فإن ترغب من الآن فصفح لا تثريب فيه ، وإن تماديت فهجرٌ لا وصل بعده »[٢٠] .

وقال أوس بن حارثة لولده : « العتاب قبل العقاب »[٢١] .

وقال ابن أبى فنن[٢٢] :

---

(١٩) هذا جزء من قصة وردت بتمامها فى كتابَىْ « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٣٧/٣) ، و« محاضرات الأدباء » (١١/٢) للراغب .

(٢٠) وردت هذه القصة فى كتاب عيون الأخبار (٣٥/٣) وانظر « العقد الفريد » لابن عبد ربه (٣١٣/٤) .

(٢١) ورد هذا القول فى « عيون الأخبار » (٣٦/٣) ، و« محاضرات الأدباء » (١٢/٢) و« العقد الفريد » (٣١٣/٤) .

فليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

(٢٢) **ابن أبى فنن :** هو أحمد بن صالح بن أبى معشر مولى المنصور شاعر رقيق .

[موت المعاتب]

إذا كنتَ تغضبُ فى غيرِ ذنبٍ وتعتبُ من غيرِ جرمٍ عليّا
طلبتُ رضاكَ فإنْ عَــزَّنى عددتُكَ مَيْتاً وإن كنتَ حيّا(٢٣)

سأل سفيان بن الأبرش الكلبى هنداً بنت أسماء بن خارجة امرأة الحجاج أن تكلمه فى شيءٍ فماطلته فأرسل إليها يقول :

أعاتبُ هنداً والشفاهُ عِتَابُها وماذا أرجى من معاتبتى هندا
أغيبُ فتنسى حاجتى وتصوغ لى حديثاً إذا صاحبتها يقطر الشهدا

[إلــى مــتى]

قال المدنى لأبى مروان القاضى : « إلى متى أستمطرك غيث الجميل ، وأستطلعك شمس الإحسان ، وأنت تخوف برعد المطل ، وتؤنس ببرق التسويف ، كنت أنت فتى المجد ومعدن الحرية ، ووطن الأدب ، ومن كانت هذه صفاته فالخروج عن مودته فضلاً عن الدخول فى عداوته ، وأنا وأنت أخى مودة ورحم ، المودة أمسى من رحم القرابة ، فكيف رشت سهامك أم كيف امتحنت بعداوتك ولكنه **كما قال الشاعر** :

بلى قد تهب الريحُ من غير وجهها وتقدح فى العودِ الصحيح القوادحُ

أبو الزبرقــان قال :

صحبتُكَ إذ أنت لا تصحبُ وإذ أنت لا غيرك الموكبُ

---

(٢٣) ورد هذان البيتان فى « عيون الأخبار » (٣٤/٣) ، و« العقد الفريد » (٣١٣/٤) .

وقال عمرو بن الأبهم بن أفلت الثعلبي النصراني :

قاتل الله قيس غيلان طرا ما لهم دون غارة من حجاب
ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكُلى وضرب الرقاب

وقال : « من أحوجَكَ إلى العتبِ فقد وطن نفسه عن الهجر » .

قدم ابن المحتصم – وكان شيخ الرملة والمشار إليه بفلسطين – على بن قريعة القاضي فقدم على ما ساءه وتاه حتى قال : « لقد اقشعر جلدى بتلك الديار من ضيم[٢٤] العلة وما كان ينالنى ولو نالنى ما كان يغيظنى فأسندت نفسى إلى ابن عم لى بالعراق ، ولو سلختنى المغاربة سلخاً ونفخوا فى جلدى نفخاً لكان أهون علىَّ مما عاملنى به » .

كتبت عريب على زر قميصها بالذهب :

علامةُ ما بين المحبينَ فى الهوى عتابُهـــا كل حقٍ وباطـــلِ

[ما جــاء فى الشكوى]

كتبت مستهام جارية الفضل بن الربيع على تفاحةٍ إليه :

تمنى رجالٌ ما أحبوا وإننى تمنيتُ أن أشكو إليه فيسمعا

[فرد عليها] :

وكنتُ إذا ماجئتُ أكرمتِ مجلسى ووجهك من ماء البشاشَة يقطر
فمن لى بالعينِ التى كنتُ مرة إلىّ بها فى سالف الدهرِ تنظر

وقال الأحنف : « شكوتُ إلى عمى صعصعة بن معاوية وجعاً فى بطنى فنهرنى ثم قال : يا ابن أخى ، إذا نزل بك شيءٌ فلا تشكُه إلى أحدٍ فإنما الناسُ

(٢٤) الضَّيم : الظلم أو الإذلال ونحوهما .

رجلان صديقٌ تسوؤه ، وعدو تسره ، والذى بك لا تشكه إلى مخلوق مثلك لايقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن من ابتلاك هو قادرٌ أن يفرجَ عنك . يا ابن أخى ، إحدى عينى هاتين ماأبصرت بها سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة وما أطلعتُ على ذلك امرأتى ولا أحدًا من أهلى » .

وقال أبو دلف : « إذا عوتبت فى سنة لم تدعها وتعاطى أختها » .

وقال محمد بن أمين :

وأضمرُ فى قلبى العتابَ فإن بدا وساعفنى منه اللُّقَا نسيتُ

وقال غيره :

[العتاب فى التوانى]

ومن لم يعاتبْ فى التوانى خليله وأملى به صار التوانىْ تماديا

وقال آخر :

تركُ العتابِ إذا استحق أخٌ منك العتابُ ذريعةُ الهجرِ

[لا تشكون لغير الله]

شكى رجل إلى آخر الفقر فقال له فضل : يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

شكوتُ وما الشكوى لمثلى عادةً ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائها

وقال المتنبى :

وكم من أخٍ ناديت عند ملمة(٢٥) فألفيته منها أمض وأقدحا

(٢٥) **المُلِمَّة** : النازلة الشديدة من شدائد الدهر .
[الوسيط (٨٤٠/٢)]

وقال آخر :

وتبس تشكو إلى خلق فيشمته   شكوى الجريح إلى الغربان والرَّخم(٢٦)

وقال وهيب بن الورد : « خالطت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لى زلة ، ولا أقالنى عثرة ، ولا ستر لى عَبرة ، ولا أمنته إذا غضب ، ما أصعيت لك إناء، ولا أصفيت لك فناء – أى ما فعلت بك ما يوجب الشكاية – ناعى بيع الخلق فيما نقص لا فيما زاد » .

وتركتنى تشربنـــى وتمزجنـــــى   ولقد عهدتك شاربى صرفا(٢٧)

وقال : « يا ذا الذى منه التنكر والتغير والنبوء(٢٨) ، إن كان أدركك الملال(٢٩) فقد تداركنى السلو(٣٠) » وقال :

---

(٢٦) الغربان والرخم : الغراب : جنس طير من الجواثم ، والعرب يتشاءمون به إذا نعق قبل الرحيل .

[الوسيط (٢/٦٤٧)]

والرَّخَمُ : طائر عزيز الريش أبيض اللون مبقع بسواد ، له منقار طويل والغراب والرخم من الطيور الجارحة .

[الوسيط (١/٣٣٦)]

(٢٧) ورد البيت تحت عنوان « معاتبة من سلا عن صديقه » فقال :

منى حفيت وكنت لا أجفى   ودلائل الهجـــران لاتخفـــى
وتركتنى تشربنـــى فتمزجنـــى   ولقد عهدتك شاربى صرفا

(٢٨) النبوء: نبأ الشىء نبئاً ونبوءاً : ارتفع وظهر ، ونبأ على القوم : طلع عليهم وهجم ، ونبا عن الشىء : جفا وتغير .

[الوسيط (٢/٨٩٦)] .

(٢٩) الملال : فتور يعرض للإنسان من كثرة مزاولة شىء فيوجب الكلال والإعراض عنه . [الوسيط (٢/٨٨٧)] .

(٣٠) السُّلُوّ : هو النسيان وطيب النفس بعد الفراق . [الوسيط (١/٤٤٦)] .

كلُّ يـــــوم قطيعــــــةٌ ينقضى دهرنـا ونحن غِضــابُ

«كثرة العتاب تنقل أديم المودة عقاب جحظة»[٣١] مثل فيما رق ولطف .

وقال بعضهم :

ورق الجـو حتى قيل هـــذا عتابٌ بين جحظـةَ والزمـــانِ[*]

وللبديع الهمذانى : « بيننا عتاب لحظة كعتاب جحظة ، واعتذارات بالغة ، كاعتذرات النابغة » .

وقال كثير عـزة :

[تغاض عن الـزلات]

ومن لم يغمضْ عينَهُ عن صديقِه وعن بعضٍ ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

ومن يَتَتَبَّعْ جاهِداً كُلَّ عثرةٍ يجدْها ولم يسلمْ له الدهرَ صَاحِبُ[٣٢]

قال بشـــار :

إذا كنتَ فى كل الأمورِ معاتباً صديقك لم تلق الذى لا تعاتبهُ[٣٣]

---

(٣١) **جحظة** : هو أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك : أبوالحسن ، نديم أديب ، كان فى عينية نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة فلزمه اللقب ، وصنف كتباً قليلة .

[الأعلام (١٠٧/١)]

وقد وردت بالأصل (عقاب جحظة) والصواب (عتاب جحظة) ويؤكده ما ذكره الثعالبى فى كتاب سحر البلاغة (ص : ١٣٥) ، وثمار القلوب (ص : ٢٢٨) .

(*) ورد البيت فى ثمار القلوب (ص/٢٢٨) .

(٣٢) ورد هذان البيتان فى :

– عيون الأخبار (٢١/٣) ، وبهجة المجالس (٦٦٤/١) ، ومحاضرات الأدباء (١٠/٢) .

(٣٣) ورد هذا البيت فى : بهجة المجالس (٧٢٨/١) ، وعيون الأخبار (٢٣/٣) ، ومحاضرات الأدباء (١٠/٢) .

كان أحمد بن يزيد المهلبى نديماً[٣٤] للمنتصر فطلبه أبوه المتوكل لمنادمته فلم يزل نديمه حتى قتل ، فلما ولى المنتصر حجبه ثم أذن له وأمر بنان بن عمرو أن ينشد فغنى يقول :

غدرت ولم أغدر وخُنْتَ ولم أخن   ورمت[٣٥] بديلا لى ولم أتبدَّل

والبيت للمنتظر ، فاعتذر المهلبى فقال المنتصر : إنما قاله مازحاً ، أترانى أتجاوز بك حكم الله ﴿ **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم** ﴾[٣٦] ، ووصله بثلاثة آلاف دينار » .

وحبس عبدالله بن على المسهل[٣٧] بن الكميت فكتب إليه :

لئن كنا خفنا فى زمان عدوكم   وخفناكم إن البلاء لراكد[٣٨]

---

(٣٤) **النديم** : المصاحب على الشراب المسامر . [الوسيط (٩١١/٢)] .

(٣٥) **رمت** : رَامَهُ رَوْماً ، ومراماً : طلبه . [الوسيط (٣٨٣/١)] .
والمعنى وطلبت بديلاً .

(٣٦) سورة : الأحزاب – الآية : ٥ .

(٣٧) كذا بالأصل والصواب [المستهل] .

(٣٨) ورد البيت فى « عيون الأخبار » (٢٦/٣) ، و« بهجة المجالس » (٦٩٥/١) .

[ما جاء فى الاستعطاف]

« وكان زهير بن صرد السعدى[٣٩] أسر فى يوم حنين فيمن أسر يوم هوازن فقال يستعطف رسول الله ﷺ ويذكره بحرمة الرضاع فى بنى سعد :

امنُن على [عصبةٍ فى أعناقها ذلٌّ][٤٠] [مُفرَّق][٤١] شملها فى [دارها][٤٢] غِيرُ

امْنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضعها إذ فوك [يملأها فى][٤٣] محضها درر

لاتجعلنا كمن شالت نعامته واستبقِ منَّا فإنا معشر [شكر][٤٤]

والبس العفو فيمن كنتَ ترضعه من أمهاتك إذ العفو منتظر

فمنَّ عليهم رسول الله ﷺ بالإطلاق » .

---

(٣٩) **زهير بن صرد السعدى** : هو زهير بن صرد السعدى الجشمى من بنى سعد ابن بكر، وقيل يكنى أبا جرول ، كان زهير رئيس قومه ، وقدم على رسول الله ﷺ فى وفد هوازن ، إذ فرغ من حنين ، ورسول الله ﷺ حينئذٍ بالجعرانة يميز الرجال من النساء فى سبى هوازن ، فقال له زهير بن صرد : يارسول الله إنما سُبيت منا عماتك وخالاتك وحواضنك اللائى كفلنك ولو أنا ملحنا للحارث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا أحدهما بمثل ما نزلت به لرجونا عطفه وعائدته ، وأنت خير المكفولين ثم أنشد الأبيات المذكورة .

انظر : الإصابة (٢٠/٤) ت(٢٨٢٠)

ولاستيعاب لابن عبدالبر : ت(٨٢٠) .

(٤٠) فى الاستيعاب [بيضةٍ قد عافها قدر] .

(٤١) فى الاستيعاب [ممزَّق] .

(٤٢) فى الاستيعاب [دهرها] .

(٤٣) فى الاستيعاب [يملؤه من] .

(٤٤) فى الاستيعاب [زهر] .

« وكان عثمان بن مظعون – رضى الله عنه – هاجر إلى أرض الحبشة فبلغه من أمية بن خلف كلام فقال :

تريشُ[٤٥] بنا لئلا يواتيك ريشها وتبرى بنا لاريشها لك أجمعُ
فكيفَ إذا نابتكَ يوماً ملمة وأسلمك الأوباشُ ما كنتَ تصنعُ

قال المؤمل بن أميـل :

شكوتُ ما بى إلى هندٍ فما اكترثت[٤٦] يا قلبها أحديدٌ أنت أم حجرُ

وقال المحارمـى :

لا تحسبينى غنياً عن مودتكم إنى إليك وإن أيسرت مفتقرُ

قال منصور النمـيرى :

أقتل عتاب من استريت بأمره ليست تنـال مودةٌ بقتـالِ

وقال سعيد بن أخصر المازنى :

لقد طال إعراضى وصفحى عن التى أبلغ عنكم والقلوبُ قلوبُ
وطال انتظارى عطفةَ الرحم منكم ليرجع حكمٌ والمعاد قريبُ
ولستُ أراكم تحرمون عن التى كرهنا ومنها فى القلوب ندوبُ
فلا تأمنوا منا كفاية فعلكـم فيشمتُ خصمٌ أو يساء حبيبُ
ويظهر منا فى المقال ومنكم إذا ماارتمينا بالمقالِ عيـوُب
فإن لسانَ الباحثِ الداء ساخطاً بنى مازن ألوى البنان كذوبُ

---

(٤٥) تريش : أصاب خيراً فرئى عليه أثر ذلك . [الوسيط (٣٨٥/١)]
(٤٦) فما اكترثت : ما أكترث له : ماأبالى به ، ولا أتحرك ، ولا أعبأ به .

قال قعنب :

إن يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحاً   منى وما سمعوا من صالحٍ دفنوا

أم صاحب :[47]

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به   وإن ذُكِرتُ بسُوءٍ عندهم أُذنوا[48]

قال محمد بن عقيل :

إذا أنا لم أبلغ بجاهك حاجةً   فإنى ليس لى فيما وليت نصيبُ

وأنشد الكاتب :

وأنتَ أميرُ الأرضِ من حيثُ أطلعت   لك الشمسُ قرنيها وحيثُ تغيبُ

قال التيمى :

أبا غانم إنى إذا البرُّ روضة   لغيرى يصفو رعيها ويطيبُ

---

(47) كذا بالأصل والصواب [قعنب بن أم صاحب] ، وهو من شعراء العصر الأموى كان فى أيام الوليد بن عبدالملك وله هجاء فيه .

(48) د البيت ضمن جملة من الأبيات فى « عيون الأخبار » لابن قتيبة (96/3) و« بهجة المجالس » (722/1) .

قال المدائنى : لحن الحجاج يوما ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره بعض من حضر ، فتمثل بشعر قعنب بن أم صاحب :

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذكرتُ به   وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
فطانة فطنوها لو تكون لهم   مروءة أو تُقىً لله ما فطنوا
إن يسمعوا شيئًا طاروا به فرحًا   منى وما سمعوا من صالح دفنوا

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الزهرى يستقدمه فأبطأ عليه فقال : « يا ابن شهاب لو كان غيرنا ما أبطأت عليه لقد قلبتك ظهر البطن فوجدتك بنى دنيا » .[٤٩]

---

(٤٩) المعنى – والله أعلم – الذى يقصده عمر بن عبدالعزيز أنه ولاه على بلاد كثيرة فوجده محباً للدنيا .

الباب الثانى : فى العبيد والإماء والأمر بالاستيصاء بالمماليك خيراً والنهى عن سوء الملكة ونحو ذلك

[ما ورد فى مدح العبيد والإماء]

قال على – رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « أول من يدخل الجنة شهيد ، وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده »(٥٠) .

وقال [ابن]عمر – رضى الله عنه – رفعه : « إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين »(٥١) .

[نعم الاختيار يا زيد]

كان زيد بن حارثة عند خديجة – رضى الله عنها – أُشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله ﷺ فجاء أبوزيد لشرائه منه فقال له رسول الله ﷺ : إن رضى بذلك فعلت فسأل زيد فقال : ذُل الرِّق مع مصاحبته أحبُّ إلىّ من عزٍّ

---

(٥٠) **حديث ضعيف** : أخرجه أحمد (٤٢٥/٢) ، وابن أبى شيبة (٢٩٦/٥) ، والترمذى (١٦٩٢) ، والحاكم (٢٨٧/١) ، وابن حبان (٨٣/٧) ، وابن عدى (١٤٢٩/٤) فى الكامل ، والبيهقى (٨٢/٤) فى سننه الكبرى .

(٥١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١٩٥/٣) ، ومسلم ح(١٦٦٤) ، وأبوداود (٥١٦٩) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٢/٨) ، والبغوى فى شرح السنة (٣٤٤/٩) .

الحرية مع مفارقته فقال رسول الله ﷺ : إذا اختارنا اخترناه » فأعتقه وزوجه أم أيمن ، وبعدها زينب بنت جحش »(٥٢) .

[المعاملة الحسنة للرقيق]

وعن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – كان آخر كلام رسول الله ﷺ : « الصلاة الصلاة ، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم »(٥٣) .

وقال المعرور بن سويد : دخلنا على أبى [برزة بالبريدة](٥٤) فإذا عليه بُرْدٌ وعلى غلامه مثله فقلنا له : لو أخذت بُرْد غلامك إلى بُرْدك فكانت حُلَّةً كاملةً ولكسوته غيره فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليكسه مما يلبس ، ولايكلفه ما يغلبه ، فإن كلَّفه مايغلبه فليعنه »(٥٥) .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – « لايقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى [وفتاتى] ،

---

(٥٢) وردت القصة بتمامها فى « الإصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلانى (٤٧/٤ – ٤٨) ترجمة رقم (٢٨٨٤) ، وفى « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » لابن عبدالبر ت (٨٤٣) .

(٥٣) **حديث صحيح** : أخرجه أبوداود (٥١٥٦) وعنه البيهقى فى السنن الكبرى (١١/٨) وابن ماجه (٢٦٩٨) ، وأحمد (٧٨/١) ، وابن حبان (١٢٢٠/موارد) ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٦٨) ، وفى إرواء الغليل (٢١٧٨) .

(٥٤) كذا بالأصل والصواب [ذَرٌّ بالرَّبَذَة] .

والبُرْدُ : كساء مخطط يلتحف به .

(٥٥) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١٤/١) ، (١٩٥/٣) ، (١٨/٨) ومسلم ح (١٦٦١) ، وأبوداود (٥١٥٨) ، والترمذى ح(١٩٤٦) ، وأخرجه ابن ماجة – مختصرا – ح(٣٦٩٠) .

ولايقل أحدكم اتق ربك ، أطعم ربك ، ولايقل أحدكم ربى وليقل سيدى ومولاى »[٥٦] .

وقال **أبومسعود الأنصارى** : « كنت أضرب غلاماً لى فسمعت من خلفى صوتا : « اعلم أبا **مسعود** ، الله أقدر منك عليه » ، فالتفتُ فإذا هو النبى ﷺ فقلت : يارسول الله ، هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : « أما لو لم تفعل للفحتك النار »[٥٧] .

وعن رافع بن مكيث رفعه : « حسن الملكة نماءٌ ، وسوء الخلق شؤم »[٥٨] .

وروى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ؛ كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت ، ثم أعاد عليه فصمت ، فلما كان الثالثة قال : « اعفوا عنه كل يوم سبعين مرة »[٥٩] .

---

(٥٦) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١٩٦/٣) ، ومسلم (٢٢٤٩) واللفظ له ، وأبو داود (٤٩٧٥ ، ٤٩٧٦) .

(٥٧) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (١٦٥٩) وأبوداود (٥١٥٩) ، والترمذى (١٩٤٨) .

(٥٨) **حديث ضعيف** : أخرجه أبو داود (٥١٦٢) ، (٥١٦٣) ، وأحمد (٥٠٢/٣) .

وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة برقم (٧٩٤) .

(٥٩) **حديث صحيح** : أخرجه أبوداود (٥١٦٤) ، والترمذى (١٩٤٩) وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٥٩٠) .

وقال أبوهريرة – رضى الله عنه : حدثنى أبوالقاسم نبى التوبة ﷺ : « من قذف مملوكه [وهو برىء] مما قال جلد له يوم القيامة جزاء »[٦٠] .

وقال هلال بن يساف : « كنا نزولاً فى دار [ابن مقران] وفينا شيخ فيه حدة ومعه جارية له فلطم وجهها فما رأيت سويداً أشدُّ غضباً منه ذلك اليوم ، قال : أعجز عليك إلّا حر وجهها لقد رأيتنى سابع سبعة من ولد مقرن ومالنا إلا خادم فلطم أصغرنا وجهها فأمر النبى ﷺ بعتقها »[٦١] .

وعن معاوية بن سويد : « لطمت مولى لنا فدعاه أبى ودعانى فقال : اقتص منه » .

استبق بنو عبدالملك فسبق مسلمة وكان ابن أمية[٦٢] فتمثل عبدالملك بقول عمرو بن مبردة العبدى .

نهيتكمُ أن تحملوا هجناءكم[٦٣] ... على خيلكم يوم الرهانِ فتُدركوا
[فتفتر][٦٤] كفاه ويسقط سوطه ... وتخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة ... وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك[٦٥]
وأدركه خالاته فاختدلنه ... إلا أن عرق السوءِ لابد مُدركُ

---

(٦٠) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١٨/٨) ، ومسلم (١٦٦٠) ، وأبوداود (٥١٦٥) ، والترمذى (١٩٤٧) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٠/٨) .

(٦١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم ح (١٦٥٨) ، وأبوداود (٥١٦٦) والترمذى ح (١٥٤١) وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢١١/٣) للنسائى أيضاً .

(٦٢) أُمَيَّة : تصغير لكلمة أمة وهى العبدة أو الجارية .

(٦٣) **الهجين** : اللئيم أو من كانت أمه غير عربية وأبوه عربى .

(٦٤) كذا بالأصل والصواب [فتعتر] .

(٦٥) متشرِّك : أى يشترك فيه عدة رجال . يعنى « زانية » .
والأبيات فى المستطرف (١٦٨/٢) .

فقال مسلمة : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، ليس هذا مثلى ولكن كما قال على ابن المعمر :

[أبنـاء السـبايا]

فما أنكحونا طائعينَ بناتِهم ولكن خطبناها بأرماحِنا قسرا[٦٦]
فما [ردَّنا منها][٦٧] السباءُ مذلة ولا كلِّفت خبزاً ولا طبخت قدراً
وكم قد ترى فينا من ابن سبيةٍ إذا لقى الأبطالَ يطعنهم شزرا[٦٨]
ويأخذ [راياتِ][٦٩] الطعانِ بكفه فيوردها بيضاً ويُصدرها حمرا
كريمٌ إذا اعتزَّ اللئيمُ تخالـه إذا سار فى ليل الدجي قمراً بدرا

فقبّل رأسه وذهب غمه وقال : أحسنتَ يا بنى وأمر له بمائةِ ألف مثل ما أخذ السابق .

[عتـق العبيد وتحريرهـم]

وقال زاذان : أتيتُ ابن عمر – رضى الله عنهما – وقد أعتق مملوكاً له فأخذ من الأرض عوداً وقال : مالى من الأجر ما يساوى هذا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه »[٧٠] .

---

(٦٦) عنفًا وقهراً .

(٦٧) فى المستطرف [زادنا فيها] .

(٦٨) شزراً : مغضباً وهو ينظر بطرف عينيه .

(٦٩) فى المستطرف [ريَّان] ، والأبيات فى المستطرف (١٦٩/٢) .

(٧٠) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم ح (١٦٥٧) ، وأبوداود (٥١٦٨) .

وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – يرفعه : « من خبب زوجة امرىءٍ أو مملوكه فليس منا »[٧١] .

وقال : « أعتق عبدالله بن جعفر غلاماً وأخذ يكتب كتاب العتق فقال الغلام : اكتب كما أملى : كنتَ بالأمس لى ، فأوهبتك لمن وهبك فأنتَ اليوم منى ، فكتب ذلك واستحسنه وزاده خيراً » .

[العتــق الأكــبر]

وقال : « مرَّ ابن عمر – رضى الله عنهما – براعٍ مملوكا فاستباعه شاةً فقال : ليست لى فسأل عن صاحبه فاشتراه وأعتقه وقال : اللهم رزقتنى العتق الأصغر فارزقنى العتق الأكبر » .

وقال : « أراد رجلٌ بيع جارية له فبكت فسألها فقالت : لو ملكتُ منك ما ملكتَ منى ما أخرجتك من يدى [فأعتقها] وتزوجها[٧٢] » .

وقال : « تغدى سليمان عند يزيد بن المهلب فقيل له : صف لنا أحسن ما كان فى منزله قال : رأيت غلمانه يخدمونه بالإشارة دون القول » .

وقال سهل بن صخر – وهو من الصحابة – لابنه : « إذا ملكت ثمن غلامٍ فاشتر به غلامًا فإن الجدود فى الرجل » .

قال الهيثم بن خالد :

ولى صديقٌ ما مسنى عدمٌ من وقعتْ عينى على عدمى
يبشرنى بالغنى تهلله وقيل هذا تهلل الخدمِ

---

(٧١) **حديث صحيح :** أخرجه أبوداود (٥١٧٠) ، وابن حبان فى صحيحه (٥٥٣٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (١٣/٨) ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم [٦٢٢٣] وفى السلسلة الصحيحة [٣٢٤] .

(٧٢) الخبر فى المستطرف (١٦٨/٢) .

وجنـــةُ الزائريـــــن بينــــــة تُعرف قبـــل اللقا فى الحشـمِ

وكان أبو يوسف وغلامه يعدو خلفه فقيل له[٧٣] فقال : أيحل أن أسلم غلامى مكاريا قيل : نعم ، قال : فيعدو إذاً معى كما يعدو مع الحمار إذا كان مكاريا .

وقال النبى ﷺ : « مثل الذى يعتق عند الموت مثل الذى يهدى إذا شبع »[٧٤] .

وقال ابن لرجـلٍ كان يتعاطى بيع الرقيق : « ما أشد إقدامك على ركوب الغرر وإضاعة المال ؟ قال : بماذا قال : بصناعتك الملعونة ، قال : وما لها ؟ قال : هى ضمان نفس ومؤنة ضرس » .

وكان عند معاوية جوارى فقال : كل رائعة من بعيد مليحة من قريب .

وقال البحترى[*] :

أنا من ياسـرٍ ويسرٍ ونجحٍ لستُ من عامرٍ ولا عمـــارِ
ما بأرضِ العراقِ ياقوم حرٌّ يفتدينى من خدمة الأحـرارِ
لأريـدُ النظـير يخرجـــه الشـتـ ـــم إلى الاحتجـــاج والافتخـــارِ
وإذا رعتــه بناحيـــة الســـو ط على الذنـب راعنى بالفـــرار
فـــوق ضعـف الصغار إن وكل الأمـ ـــر إليــه ودون كيـد الكبـــار

---

(٧٣) لعل هنا سقطا .

(٧٤) **حديث ضعيف** : أخرجه أبوداود (٣٩٦٨) ، والترمذى (٢١٢٣) والدارمى (٤١٣/٢) والنسائى (٣٦١٤) وابن حبان (١٢١٩ – موارد) ، وأحمد (١٩٧/٥ ، ٤٤٨/٦) ، والحاكم (٢١٣/٢) .

وضعفه الشيخ الألبانى – حفظه الله – فى ضعيف الجامع [٤٩٦٩] ، [٥٢٤٤] ، وانظر السلسلة الضعيفة [١٣٢٢] .

(*) ديوان البحترى . تحقيق حسن كامل الصيرفى (٩٨٨/٢) .

وكـأن الذكـاء يبعث منـه   فى سـواد الأمـور شعلة نـار
ولعمـرى للجـود للناس بالنـا   س بالثـوب والدينـار
وعزيـز إلا لديـك بهـذا الـ   ـفخُّ أخـذُ الغلمـانِ بالأشعـار

وعن بعض النخاسين[75] : حناءٌ بدرهمٍ تزيد فى ثمن الجارية مائة درهم .

وقال النبى ﷺ : « عاقبوا أرقاءكم على قدر عقولهم »[76] .

وقال أبواليقظان : « إن قريشا لم تكن ترغبُ فى أمهات الأولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم : على بن الحسين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وذلك أن عمر - رضى الله عنه - أُتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فقال له على - كرم الله وجهه : إن بنات الملوك لايبعن ولكن قومهن فأعطاه أثمانهن فقسمهن بين الحسين بن على ، ومحمد بن أبى بكر ، وعبدالله بن عمر ، فولدن [هؤلاء] الثلاثة »[77] .

[الصبر على سوء أخلاقهم]

وقال عبدالله بن طاهر : « كنت عند المأمون ثانى اثنين فنادى : ياغلام ، يا غلام ، بأعلى صوته فدخل غلام تركى فقال : ألا يمنع أن يأكل ويشرب ، أو يتوضأ ويصلى ، كلما خرجنا من عندك تصيح : ياغلام يا غلام إلى كم يا غلام

---

(٧٥) **النَّخَّاسُ** : بائع الدواب والرقيق .   [الوسيط (٩٠٩/٢)] .

(٧٦) **حديث باطل** : قاله الألبانى فى السلسلة الضعيفة والموضوعة (٧٤٢) وعزاه العجلونى فى كشف الخفاء (٢٢٦/١) للديلمى ، والدارقطنى .

والحديث فى الفردوس للديلمى برقم [٤٠١٧] ، وعزاه السيوطى فى الجامع الكبير (٥٦٩/١) أيضا للدارقطنى فى الأفراد وابن عساكر والديلمى .

(٧٧) ورد الخبر فى المستطرف (١٦٨/٢) ، وانظر كتابىْ : رغبة الآمل (٤٩/٥) والرق فى الإسلام (ص ٩٤) محمود عبدالوهاب فايد .

يا غلام ، فنكس رأسه طويلا فما شككت أنه يأمر بضرب عنقه فقال : يا عبدالله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه فلا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا » .

وقال النبى ﷺ : « بئس المال فى آخر الزمان المماليك »[٧٨] .

وعن مجاهد – رضى الله عنه – : « إذا كثرت الخدم كثرت الشياطين »[٧٩] .

وعند سالم بن أبى الجعد رفعه : « عبد صالح عند الله خير من حر صالح »[٨٠] .

وقال لقمان : « لا تأمننَّ [امرءًا][٨١] على سر ، ولا تطأ خادمة تريدها للخدمة .

[ووصف بعضهم عبداً فقال][٨٢] غلام يأكل فارها[٨٣] ، ويعمل كارهاً ، ويبغض قوما ، ويحب نوماً » .

[طلب العتق من السيد]

وقد أعتق عمرو بن عقبة غلاماً كبيراً فقال عبد له صغير : « اذكرنى يا مولاى ذكرك الله بخير ، فقال : إنك لن تخرق[٨٤] ، فقال : يامولاى إن النخلة

(٧٨) **حديث موضوع** : أخرجه أبونعيم (٤/٩٤) فى الحلية ، وابن عدى (٦/٢٢٦٤) فى الكامل ، وابن الجوزى (٢/٢٣٥) فى الموضوعات ، وانظر الكلام عليه فى تنزيه الشريعة (٢/١٨٢) ، السلسلة الضعيفة (٧٤٠) .

(٧٩) ذكره الأبشيهى فى المستطرف (٢/١٦٩) .

(٨٠) **حديث ضعيف** : فإنه من مراسيل ابن أبى الجعد .

(٨١) فى المستطرف [امرأة] .

(٨٢) مابين المعكوفتين سقط استدركناه من المستطرف .

(٨٣) **أكل فارها** : يأكل بشرهٍ ونهم .

(٨٤) **تخرق** : الرجل المخراق : الحسن الجسم . [الوسيط (١/٢٣٠)]

قد تجتنى زهواً[85] قبل أن تصير معوا[86] فقال : قاتلك الله لقد استعتقت فأحسنت وقد وهبتك لواهبك ، كنت بالأمس لى واليوم منى » .

[ما جـاء فى ذم العبيـد]

وقال بعضهم : « العبد عز مستفاد ، وغيظ فى الأكباد » .

قد ذممنـا العبيـد حتـى إذا نحن بلونا الموالى عذرنا العبيد

ولبعضهم :

ما لى غلام فأدعـــــو به سوى من أخوه أبـو عـمتـى

وقال أكثـم :

الحرُ حرٌ وإن مسه الضرّ والعبدُ عبدٌ وإن مشى على الدُّر[87]

وقال: « كان لخالد بن برمك جارية اسمها سرور أكتب الناسِ بالقلمِ وأحسنهم علماً وكانت تُوقع بين يديه فتخرج التوقيعات إلى الكاتب ، وربما اقترحوا عليهما نسخ الكتاب لبلاغتها ، وكانت شجيعة تركب معه بسيف

---

(٨٥) زهـواً : البُسر المتلون . [الوسيط (٤٠٥/١)]

(٨٦) معوا : المعو : الرُّطَبُ . [الوسيط (٨٧٨/٢)]

والمعنى : أنك تستصغرنى .. ألم تعلم أن النخلة قد يجنى منها البلح وهو بسر ، قبل أن يصبح رطبا ؟!

فالصغير له فائدة رغم صغره .

(٨٧) فى الأصل : [المدر] ، والصواب ماأثبتناه ، وقد أثبتناه من : « بهجة المجالس (٧٩٠/١) .

وقد ورد البيت أيضا بالمستطرف (١٦٩/٢) .

والدر : هو الجوهر الثمين .

وُمَنطَّقة[٨٨] وسواد[٨٩] فلا يعلم أجاريةٌ هى أم غلامٌ ، وكان لحازم بن خزيمة مثلها اسمها قطاة .

قيل : « وكان لعثمان بن عفان – رضى الله عنه – عبداً فاستشفع بعلى أن يكاتبه فكاتبه ، ثم دعا عثمان بالعبد فقال : إن كنت عركت[٩٠] أذنك فاقتص منى فأخذ بأذنه ، ثم قال عثمان : شديد ، ياحبذا قصاص الدنيا لا قصاص الآخرة » .

وقال – رضى الله عنه – : « ما ملك الدنيا رفيقا مالم يتجرع بغيظ رفيقا » .

وعنه – رضى الله عنه – : « خادم الملك لايتقدم فى رضاه خطوة إلا استفاد بها حظوة » .

وقيل : « نشأ فلان فى حصن عنايتك ، وأرضع بلبان نعمتك ، وشرف بقدمه عليك » .

وقيل : « أشرف الرشيد على الكسائى والأمين والمأمون بين يديه يعلمهما لحاجته فابتدرا يقدمان نعليه فقال الرشيد لجلسائه : أى الناس أشرف قدما ؟ فقالوا : أمير المؤمنين ، قال : لا ، هو الكسائى يخدمه عبدالملك ومحمد ، ليس حقك علينا بالخدمة دون حقنا عليك بالنعمة » .

وقيل : « دعا بعض أهل الكوفة إخوانه وله جارية فقصرت فى بعض ما ينبغى لهم فقال :

---

(٨٨) **المرأة المُنَطَّقة** : لابسة النطاق ، وهو إزار (حزام) تشده المرأة على وسطها للمهنة .

[الوسيط (٩٣١/٢)]

(٨٩) **السواد** : من معدات الحرب . [الوسيط (٤٦١/١)]

(٩٠) **عركتُ** : دلَكْتُ .

إذا لم تكنْ فى منزلة الحر حرة رأى خللا فيها تولى الولايد
فلا يتخذ منهن حُرٌّ قعيدة فهن لعمر الله بئس القعايد[٩١]

وعن أحمد بن سهل : عسر الملوك بالمماليك .

وقيل : كان لمحمد بن سليمان بن عبدالله بن عباس خمسون ألف مولى وهو وأخوه جعفر بن سليمان من ملوك بنى هاشم وفرسانهم وقد زوجه المهدى ابنته العباسة ونقلها إليه إلى البصرة .

وقال على – رضى الله عنه – : « اجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذ به فإنه أحرى أن يتوكلوا فى خدمتك ، لا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك ، قل ما تنفع خدمة الجوارح إلا بخدمة القلب » .

مولى عدى بن حاتم يفتخر بأنه محرر الرجال من النساء :

وما فك رقى ذات دل خريدة ولا خطاتنى غرة وحجول
نمانى إلى العلياء أبيض ماجد فأصبحت أدرى اليوم كيف أقول

[من نوادر العبيد]

« كان لرجل غلام من أكسل الناس فأمره بشراء عنب وتين فأبطأ حتى نوَّط الرُّوح[٩٢] ثم جاء بإحداهما فضربه وقال : ينبغى لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين ثم مرض فأمره أن يأتيه بطبيب فجاء به وبرجل آخر فسأله فقال : أما ضربتنى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة جئتك بطبيب فإن رجَّاك[٩٣] وإلا حفر هذا قبرك ، فهذا طبيبٌ وهذا حفارٌ[٩٤] .

---

(٩١) ورد الخبر والبيتان فى المستطرف (١٦٩/٢) ، وبهجة المجالس (٧٨٩/١) .

(٩٢) يقال أبطأ حتى نوَّط الروح : أى حتى أسأم وأضجر . [الوسيط (٩٦٣/٢)] .

(٩٣) رجَّاه : أمَّله ، أى أعاد إليه الأمل فى الشفاء والحياة .

(٩٤) ورد الخبر بالمستطرف (١٦٩/٢–١٧٠) .

وقال المأمون :

كنتُ حراً هاشمياً فاسترقتنى الإماءُ   أنا مملوكٌ لمملوكٍ وتحتى الأمراء

« كانت للمأمون جارية من أحسن الناس وجهاً وأسبقهم إلى كل نادرة فحلت عنده فى ألطف محل فحسدتها الجوارى [وقلن] : لاحسب لَها فنقشت على خاتمها : حَسبى حسبى[٩٥] فازداد المأمون عجباً فَسُمَّتْ فجزع عليها وأنشد :

اختُلِسَتْ ريحانتى من يدى   أبكى عليها آخر [المسندِ][٩٦]
كانتْ هى الأنسُ إذا استَوْحَشَتْ   نفسى من الأقربِ والأبعدِ
وروضةً كان بها مرتعى   ومنهلاً كان بها موردى
كانت يدى كأن بها قوتى   فاختلس الدهرُ يدى من يدى

المتوكل فى جارية :

أمازحها فتغضب ثم ترضى   فكل فعالها حسنٌ جميلُ
فإن غضبتْ فأحسن ذى دلال   وإن رضيت فليس لها عديل[٩٧]

[الاستيصاء بالعبيد]

« ونادى طلحة غلامه وعنده أبوبكر وعمر وعثمان فأبطأ الغلام بشىء أراده فصاح يا غلام فقال : لبيك فقال طلحة : لا لبيك فقال أبوبكر : مايسرنى أنى قلتها وأن لى نصف الدنيا ، وقال عثمان : ما يسرنى أنى قلتها وأن لى حمر النعم ، فصمت عليها طلحة ، فلما خرجا باع ضيعته بخمسة عشر ألفا وتصدق بها » .

---

(٩٥) كذا بالأصل ، والصواب [حسبى حسنى] أى يكفينى جمالى إذا كانت الأولى بسكون السين ، وأما إذا كانت بتحريك السين فإنها بذلك تقصد أن حسنها وجمالها هو حَسَبُها وشرفُها .

(٩٦) فى المستطرف [الأبد] بدلا من [المسند] ، والأبيات ذكرها الأبشيهى فى المستطرف (٣٤١/٢) ، وثمار القلوب للثعالبى (ص/٢٢٩) ط دار المعارف .

(٩٧) البيتان فى المستطرف (٣٤٢/٢) .

كان لمحمد بن أبي الحارث الكوفي صديق له قَيْنَةٌ[98] فباعها ببِرْذَون[99] فقال لمحمد :

قَيْنَـــةٌ كانت تُغنــــي مُســخت بِرْذَوْنَ أدهــمْ[100]
عُجْتُ[101] بالسابَاطِ[102] يوماً فإذا القينــة تُلجــمْ

غلام الخالديّ مثل في الشهامة والكياسة وجميع شرائط الخدمة وهو غلام ابى عثمان الخالدي الشاعر ، وقال الشيخ أبوالحسين الفارسي النحوي ابن أخت أبي على الفارسي ، اسمه رشأ وأنه رآه بعد موت سيده في ناحية عبد العزيز بن يوسف وقد ارتقى إلى مرتبة الوزارة ، وقال المصنف : قرأتُ أنا بخطه قال ابن سكرة الهاشمي إلى أبي عثمان[103] يسأله فكتب إليه يقول :

[حســن الصحبــة]

ما هو عبــدٌ لكنّــهُ ولــدٌ [خَوَّلـهُ][104] المهيمـنُ الصمــدُ
وشدَّ أزرى بحسن [صحبته][105] فهو يدى والذراعُ والعضدُ
صغيرُ سنٍ كبيرُ [معرفةٍ][106] تمازجَ الضعفُ فيه والجلدُ
معشقُ الطرفِ كحلُه كحلٌ معطلُ الجيد حليه الجيــدُ
وغصــنُ بــانٍ إذا بــدا فــإذا شدا فقمــريّ بانــةٍ غــردُ

---

(٩٨) القَيْنَةُ : الأمة وهي المغنية . [الوسيط (٧٧١/٢)] .

(٩٩) البِرْذَوْنُ : يطلق على غير العربي من الخيل والبغال . [الوسيط (٤٨/١)] .

(١٠٠) الأدهم : الأسود . [الوسيط (٣٠٠/١)] .

(١٠١) عُجْتُ : عطفت ، ومررت . [الوسيط (٦٣٤/٢)] .

(١٠٢) السَّاباط : سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذٌ .

(١٠٣) هو سعيد بن هشام الخالدي الشاعر .

(١٠٤) الصواب [خوَّلنيه] .

(١٠٥) في « معاهد التنصيص » [خدمته] .

(١٠٦) في المعاهد [منفعة] .

ثقفـه كيسـه فلا عـوج في بعضٍ أخلاقـه ولا أود[١٠٧]
ما غاظـنى ساعـةً فلا صخـب يمر في منـزلى ولا حـردُ
مسامرى إن دجا الظـلام فلى منـه حديـث كأنـه الشهـدُ
خازن ما في يدى وحافظـهُ فلـيس شيء لدى يفتقـدُ
يصون [كيسى][١٠٨] فكلها حسنٌ يطوى ثيابى فكلها جـددُ
وحاجبى فالخفيـفُ محتبـسٌ عنـدى بـه والثقيـلُ منطـردُ
وحافظُ الدارِ إن ركبتُ فـلا على غلامٍ سواه أعتمـدُ
ومنفـق مشفـقٌ إذا أنـا أسرفـت وبـذّرت فهو مقتصـدُ
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمِسـ ـكِ تراه والعـنبر الثردُ
وواجدٌ بى من المحبةِ والرأ فة أضعـافُ ما به أجـدُ
إذا تبسمتُ فهـو مبتهـجٌ وإن تنمرتُ[١٠٩] فهـو مرتعـدُ
ذى بعض أوصافه وقد بقيتْ له صفات لم يحوها العـدد[١١٠]

كان إياس بن عبدالحميد بن لاحق مولى لبنى رقاش فقال فيهم :

ألا ياليتَ لى قومـا بقومـى ولوْ عكْلاً[١١١] فينفعنى معاشى
فكنتُ لهم أخا ثقةٍ ومولـى ولم أكنْ للئامِ بنى رقـاش

وقال وحشى الرياحى :

يعجبنى فعـل كل مسـلمة مثل الذى تفعـل أم سـلمة

« أهدى داود بن روح بن حاتم المهلبى للمهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت ثم منعها الحيض » فكتب إليها :

---

(١٠٧) **الأَوَدُ** : العِوَجُ .

(١٠٨) في « معاهد التنصيص » [كتبى] .

(١٠٩) **تَنَمَّرت** : كشرت .

(١١٠) انظر : « معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » لعبدالرحيم بن أحمد العباس (١٥/٢) .

(١١١) **العُكْل** : بضم العين وكسرها : اللئيم . [الوسيط (٦١٩/٢)] .

لأهجرنَّ حبيباً خان موعده [وذاك][112] منه لصفوِ العيشِ تكديرُ

فأرسلت إلى داود لتحضره وتعرفه عذرها تقول :

لا تهجرنَّ حبيباً خان موعده ولا تذمنَّ وعدا فيه تأخيرُ
ما كان حبسى إلا من حدوثِ أذى لايُستطاع له بالقولِ تفسيرُ
والدهُر أطول للإمام فيه مدى يحيى السرور بتخليد وتعميرُ[113]

« ابتاع بعض الشيوخ غلاما فقلت : بورك لك فيه فقال : البركة مع من قدر على خدمة نفسه واستغنى عن استخدام غيره فخفت مؤنته وهانت تكاليفه وكفى سياسة العبيد » .

« أصيب **أنوشروان** ببعض خدمه فجزع وقال : اثنان هم العدة والغمدة في النوائب : الخادم الناصح ، والقريب الصديق ، وقد فجعت بأحدهما ولم أكتمل بالآخر . » .

وعن معاوية « التسلط على المماليك من لؤم القدوة » .

قال القرشي : سألنى سعيد بن المسيب عن أحوالى فقلت : « أمى فتاة[114] فنقصتُ فى عينه فأمهلت حتى دخل إليه سالم بن عبدالله بن عمر فقلتُ : من أمه ؟ فقال : فتاة ، ثم دخل قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق فقلتُ : من أمه ؟ فقال : فتاة ، ثم دخل على بن الحسين فقلت : من أمه ؟ فقال : فتاة ، فقلت له : أريتنى نقصت فى عينيك لأنى ابن فتاة إنما لى بهؤلاء أسوة فجللتُ فى عينه » .

قال عبدالله بن الحسن :

فإن تك أمى من نساءِ أفاها[115] جيادُ القنا والمرهفاتُ الصفائحُ

---

(112) فى المستطرف [وكان] .

(113) ذكره الأبشيهى فى المستطرف (٣٤١/٢) ولم يذكر البيت الأخير .

(114) فتاة : أمة .

(115) **أفاءها** : كانت من فىء الحروب .

فَنباً لفضلِ الحرِّ إن لم أنل بـه   كرائم أولاد النساء الصرائحُ

وقال عنترة :

إنى امرؤ من خير عبس منصباً   شطرى وأحمى صاحبى بالمنْصل[١١٦]

قال هشام بن عبدالملك لزيد بن على : « بلغنى أنك تطلب الخلافة ولست لها بأهل فقال : لم ؟ قال : لأنك ابن أمة قال : فقد كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة ، وأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولداه »[١١٧] .

قال الحجاج بن عبدالملك بن الحجاج بن يوسف : « لو كان رجلاً من ذهب لكنته ، قيل : كيف ؟ قال : لم تلدنى أمة إلى آدم ما خلا هاجر ، فقالوا : لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب » .

قال رجل لعبدالله استعقله : ألا ألحقك بنفسى قال : لأن أكون عبداً أحب إلىَّ من أن أكون حراً لاحقًا .

وقال جعفر بن عتاب :

وضمتنى العُقابُ[١١٨] إلى حشاها   وخير الطير قد علموا العقابُ

فتاةٌ من بنى سام بن نـوح   سبتها الخيل غصباً والـركابُ

فقل فيها فقال : مالى أقول فيها حتى أتأملها ، وما لى أن أتأمل جارية الأمير فقال : بل فتأملها فقال : ما اسمك يا جارية فأمسكت فقال الحجاج : خبريه ياحتا فقالت : أمامة ، فأنشد :

ودع أمامةَ حان منـك رحيلُ   إن الوداعَ لمن تُحب قليلُ

هذى القلوب هو أيما(*) يتمنها   وارى الشفاةَ وما إليه سبيـلُ

(١١٦) **المنصل** : السيف .   [الوسيط (٩٢٧/٢)] .

(١١٧) ورد ذلك الخبر بتمامه فى « العقد الفريد » (١١٧/٤) ، و« مروج الذهب » للمسعودى (٢١٨/٣) .

والمقصود : أن إسماعيل عليه السلام رغم أنه ابن أمة ولكن أخرج من صلبه أشرف الخلق محمد ﷺ ورغم أن إسحاق ابن حرة فقد أخرج من صلبه القردة والخنازير .

(١١٨) **العقاب** : طائر من كواسر الطير قوى المخالب مسرول ، له منقار قصير حاد البصر .   [الوسيط (٦١٣/٢)]

(*) كذا بالأصل .

فقال الحجاج : جعل الله لك السبيل ، فضرب بيده إلى يدها فامتنعت منه فقال :

إن كان ظنكمُ الدلالُ فإنه حسن جمالك يا أميمَ جميلُ

فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها إلى اليمامة وكانت من أهل الرى وإخوتها أحراراً فبذلوا له عشرين ألفاً فأبى وقال :

إذا عرضوا عشرين ألفاً تعرّضت لأمر حكيم حاجة ما هى ما هيا
لقد زدتُ أهل الرى منى مودةً وحببت أضعافًا إلى المواليا

وأولدها حكيماً وبلالاً وحرزة » .

وقال : « الرقيق جمالٌ وليس بمالٍ فعليك من المال بما يعولك وليس تعوله » .

اشترى يزيد بن عبدالملك حبابة بأربعة آلاف دينار وكان صاحب لهو فحجر عليه سليمان فردها فلما ولى يزيد وكانت تحته سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان وكانت حرة عاقلة قالت : ياأمير المؤمنين هل بقى من الدنيا شىء تتمناه قال : نعم . حبابة فسألت عنها فقيل اشتراها رجل من أهل مصر فأرسلت من اشتراها بأربعة آلاف وقدم بها فصلعها حتى ذهب عنها آثار الشعر ثم أتت بها فراش يزيد وأجلستها وراء السّتر وقالت : هل بقى شىء من الدنيا تتمناه قال : ألم تسألينى عن هذا مرة فرفعت الستر وقالت : هذه حبابة وقامت وخلتها فحظيت سعدة عنده »[119] .

« كانت لبصرى جارية وكانت أحب إليه من سمعه وبصره فتعدى الدهر به فاعتزم على بيعها فاشتراها عمر بن عبيدالله بن معمر التيمى بألف دينار فلما ذهبت الجارية لتدخل علق ثوبها فقال :

---

(١١٩) وأخبار يزيد بن عبدالملك مع حبابة انظرها فى [العقد الفريد (٦٧/٧)] .

تذكر من صبابة القلب حاجة دعت حزناً للعاشق المتذكـر
علـيك سلام لا زيـارة بيننـا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر: « قد شئت فخذها وخذ الألف » .

وقال محمد بن مروان بن أبى حفصة يصف جارية يقول :

ليست تُباعُ ولو تُباع بوزنها دُراً بكى أسفاً عليها البائعُ[120]

علق عبدالرحمن بن أبى عمار بجارية وكان من نساك الحجاز فاستهتر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطاووس ومجاهد يعظونه فأنشد :

يلومنى فيكِ أقوامٌ أجالسهم فما أُبالى أطارَ النومُ أو وقعا

« حج عبدالله بن جعفر فزاره الناس إلا عبدالرحمن فاستزاره وكان قد يقدم فاشترى له جارية بأربعين ألفا وأمر بتجهيزها فقال له : ما فعل حب فلانة بك ؟ قال : هو فى اللحم والدم والمخ والعصب والعظام قال : أتعرفها إن رأيتها قال : إن دخلت الجنة لم أنكرها فأمر بها فأخرجت وهى ترفل[121] فى الحلى والحلل وقال : شأنك بها ، وأمر أن يحمل معها مائة ألف درهم فبكى عبدالرحمن فرحاً **وقال** : قد خصكم الله بشرفٍ ماخص به أحد من صلب آدم فليهنكم هذه النعمة وبارك لكم واهبها » .

« عن جويرية بن أسماء : أراد ابن سيرين شراء جارية فقلت : قد علمت مكانها ولكن فى شفتها عظم فقال : ذاك أفحم لقبلتها » .

---

(١٢٠) البيت فى المستطرف (٣٤١/٢) .

(١٢١) **ترفل** : تمشى فى زينة واختيال . [الوسيط (٣٦٢/١)]

الباب الثالث : فى العداوة والحسد والبغضاء والشماتة وذكر الأضغان[١٢٢] والطوايل[١٢٣] والوعيد والتهديد

[ماجاء فى العداوة]

قال النبى ﷺ : « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك »[١٢٤] . وقال أبوبكر الصديق – رضى الله عنه – : « العداوة تتوارث »[١٢٥] . وقال ابن مسعود – رضى الله عنه – : « اللهم إنى لأستعديك على نفسى عدوى لا عقوبة فيها » . وقال داود – عليه السلام – : « لاتشترى عداوة واحد بصداقة ألف » .

وقال الحارث بن أبى شمر الغسانى : « من اعتزَّ بكلام عدوه فهو أعدى عدو لنفسه » .

وقال أعرابى : « كتب الله كل عدو لك إلا نفسك » .

---

(١٢٢) **الأضغان** : جمع ضغن وهو الحقد الشديد .

(١٢٣) لعلها [الطوايا] وهو ماتطويه النفس من غل وحقد .

والطوايل : بمعنى التطاول والتكبر والتغطرس .

(١٢٤) **حديث موضوع** : أخرجه البيهقى (٣٤٣) فى الزهد ، والعسكرى فى الأمثال ، كما فى الكنز (٤٣١/٤) ، وانظر كلام العراق (٤/٣) فى المغنى .

(١٢٥) ورد الأثر فى عيون الأخبار (١٢٢/٣) ، والمستطرف (٤٥٤/١) .

« أراد كسرى أن يتزوج بنت يزدجهر[١٢٦] بعد قتله فقالت : لو كان ملككم حازماً ما جعل بينكم وبين شعاره موتورة »[١٢٧] .

وقال زياد بن عبدالله بن عبدالمدان خال أبى العباس السفاح وكان ولاه المدينة فعزله المنصور عنها وعذّبه فأنشد :

فلو أنى بُليتُ بهاشمى خوالته بنو عبدالمدان
صبرتُ على عداوته ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلانى[١٢٨]

يقول : لو بليتُ هذا من السفاح الذى أخواله كرام لكان أهون علىّ من أن أبلى بمن أُمُّهُ أَمَةٌ يعنى المنصور .

شــعر

ولا غرو أن يُبلى شريفٌ بخاملٍ فمن ذنبِ التنين[١٢٩] تنكسفُ الشمس

بث رجل فى وجه أبى عبيدة مكروهاً فأنشأ يقول :

---

(١٢٦) كذا بالأصل وفى « عيون الأخبار » لابن قتيبة [بزرجمهر] ، وذكر ابن عبدربه فى العقد الفريد (١٢٠/٢) أنه لما قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته مكتوباً :

« إذا كان الغدر فى الناس طباعاً فالثقة بالناس عجز ، وإذا كان القدر حقًّا فالحرص باطل ، وإذا كان الموت راصداً فالطمأنينة حمق » .ا.هـ .

(١٢٧) **الشعار** : ماولى الجسد من الثياب ، والموتورة : التى لديها ثأر .

(١٢٨) انظر المستطرف (٤٥٤/١) .

(١٢٩) **التنين** : حيوان أسطورى يجمع بين الزواحف والطير ، ويقال : له مخالب أسد وأجنحة نسر ، وذنب أفعى ، ويتخذ فى بعض البلاد رمزاً قوميا .

[المعجم الوسيط (٨٩/١)]

والعرب قديما كانوا يربطون بين كسوف الشمس وبين هذا الحيوان وأن العلاقة بينهما علاقة سببية ، ولقد كشف العلم الحديث مدى ضحالة تلك الأساطير وأن الكسوف ما هو إلا نتيجة طبيعية لدورة الأرض حول الشمس ودورة الشمس حول نفسها فيقع القمر بين الشمش والأرض فيحجب ضوءها بين كل فترة وفترة ؛ هذا والله تعالى أعلى وأعلم .

فلو أن الحمى إذ وهى [لعبت] به سباع كرام أو ضباع وأذْؤُبُ
لهون وجدى أو لسلى مصيبتى ولكنما أودى بلحمى أَكْلُبُ(١٣٠)

كان حاتم أسيراً فى بلاد عنترة فلطمته أمةٌ لهم فقال :

عذرت البزلَ إذ هى خاطرتنى فما بالى وبال ابن اللبون(١٣١)

وقال عبدالله بن الحسين بن الحسن : « إياك ومعادات الرجال فإنك لن تعدم مكر حليمٍ أو مفاجأة لئيم » .

وقال أنوشروان : « العدو الضعيف المحترس من العدو القوى أحوى للسلامة من العدو القوى المعتز بالعدو الضعيف » .

وقال صالح بن سليمان « لاتستصغروا عدوًا فإن العزيز ربما شرق بالذباب »(١٣٢) .

تقول العرب: « أصبحا يتكاشحان(١٣٣) ولايتناصحان ، ويتكاشران ولا يتعاشران » .

قيل لكسرى: « أى الناس أحبُّ إليك أن يكون عاقلا ؟ قال : عدوى [قيل: كيف ذلك؟](١٣٤) . قال: لأنه إذا كان عاقلاً كنتُ منه فى عافية » .

---

(١٣٠) البيتان فى المستطرف (٤٥٤/١) .

(١٣١) ابن اللبون : ابن الناقة إذا كان فى العام الثانى وصار لها لبن .
[اللسان (٣٧٥/١٣)]

(١٣٢) الخبر فى « عيون الأخبار » (١٢٤/٣) .

(١٣٣) يتكاشحان : من كاشحه أى عاداه . [الوسيط (٧٨٨/٢)]

(١٣٤) سقط: استدركناه من المستطرف (٤٥٤/١) .

قال درج بن جابر الفيداق :

إذا المرءُ عادى من يودك صدره وسالم ما اسطاع الذين تحارب
فلا تقل عما يخن [...] [١٣٥] ضميره فقد جاء منه بالشناه راكب

وقال ذؤيب بن حبيب الخزاعى :

قلبى إلى ما ضرنى ذا عجبٍ يُكثر أحــزانى وأوجــاعـــى
كيف أحترس من عدوى إذا . كان عدوى بين أضــلاعـى

فيلسوف : « كونوا من المسر المدغل[١٣٦] أخوف من المكاشف المعلن فإن مداواة العلل الظاهرة أهون من مداوات ما خفى وبطن » . وعنه : « إياك أن تعادى من إذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك فى لحافه »[١٣٧] .

وعن محمد بن يزداد الكاتب : « إذا لم تستطع أن تعض يد عدوك فقبلها »[١٣٨] .

وقال حكيم : « إنى لأغتنم من عدوى أن أُلقى عليه النملة وهو لا يشعر فتؤذيه »[١٣٩] .

---

(١٣٥) بياض بالأصل .

(١٣٦) المدغل الذى يبغى أصحابه الشر ، يضمره لهم ويحسبونه يريد لهم الخير ويقال : مكان داغل : خفيٌّ . [الوسيط (٢٨٨/١)]

(١٣٧) الخبر فى المستطرف (٤٥٤/١) .

(١٣٨) الخبر فى عيون الأخبار (١٢٨/٣) .

(١٣٩) الخبر فى عيون الأخبار (١٣٠/٣) .

كتب مروان الحمار إلى الخارجي الشيباني : « أنا وإياك كالحجر والزجاجة إن وقع عليها رضها[140] وإن وقعت عليه فضها »[141] .

« نازع غلام من بنى أمية عبدالملك بن مروان فأربى عليه فقيل لعبدالملك : لوتظلمت منه إلى عمر فقال : لا أرى انتقام غيرى انتقاما .

وقال [الواثق بالله][142] وأجاد :

تنحَّ عن القبيح ولا ترده ومن أوليته حُسناً فزدهُ
ستُكفى من عدوك كلَّ كيدٍ إذا كاد العدوُّ ولم تكدهُ

كانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب [فقيل : إن أخوها زوجها][143] وهى حبلى بهجرس بن كليب فلما شبَّ أنشد يقول :

أصاب أبى [حال][144] وما أنا بالذى أميلُ وأمرى بين خالى ووالدى
وأورث جساسَ بن مرة غصةً إذا ما اعترتنى حرها غير باردِ

ثم قال :

يا للرجال لقلب ماله آسى[145] كيف العزاءُ وثأرى عند جساس

---

(١٤٠) رضَّه رَضًّا : دقَّه جريشاً وكسَّره . [الوسيط (٣٥٠/١)] .

(١٤١) فضَّها فضًّا : فرقها ، والفضاض : ما تفرق عند الكسر . [الوسيط (٦٩٢/٢)] .

(١٤٢) البيتان معزوان لأبى العتاهية فى المستطرف (٤٥٤/١) .

(١٤٣) كذا العبارة بالأصل ، والصواب [فقتل أخوها زوجها] .

(١٤٤) كذا بالأصل ، والصواب [خالى] .

(١٤٥) آسى : أى مُعين على الصبر والسُّلو والنسيان .

ثم قتله وأنشد :

ألم ترنى [مارت][١٤٦] أبى كليباً   وقد يُرجى المرشّح للدخول
غسلتُ العارَ عن جسمِ ابن بكْرٍ   بجساسٍ بن مرة [من التبول][١٤٧]
بكتْ يوماً لقتلتــه أنـــاسُ   لعمرُ الله للجدع الأصيـــلِ

وعن علي – رضى الله عنه – وذكر عثمان وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوصف وأرفق حدايهما العنف ، أراد أنهما كانا يجدان فى عداوته . وعنه : « خذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين ، مراجل[١٤٨] أحقادهم تفور ، وطوالع أضغانهم[١٤٩] لا تغور ، هبت عليهم ريح التعادى فسفتهم عن البوادى ، من كثر غمره لم يطل عمره ، زر عدوك لأحد أمرين إما لصداقة تؤمنك ، أو لفرصة تمكنك ، لكل إبراهيم نمرود ، ولكل موسى فرعون ، محاسبة الصديق دناءة ، وترك الحق للعدو غباءة » .

سويد بن منجوب لمصعب :

فأبلغ مصعباً عنـى رسولاً   وهل يلقى النصيحُ بكل وادى
لتعلَم أنَّ أكثرَ من تناجى   وإن ضحكوا إليك هُمُ الأعادى[١٥٠]

---

(١٤٦) كذا بالأصل ، والصواب [تَأَرْتُ] .

(١٤٧) كذا بالأصل ، والصواب [ذى البتول] .

(١٤٨) **مراجل** : جمع مرجل ، وهو القدْر من الطين المطبوخ أو النحاس ، والمراد أن أحقادهم اشتدت حتى كادت تشبه القدر وهى تغلى وتفور .

(١٤٩) أى أن علامات الحقد لديهم ليسنت خفية بل هى واضحة جلية .

(١٥٠) البيتان ذكرهما الأبشيهى فى المستطرف وروايتهما كالتالى :

[فبلّغ مصعباً عنى رسولى   وهل تلقى النصيح بكل واد
تعلّم أن أكثر من تناجى   وإن ضحكوا إليك هم الأعادى]

أنشـد الجاحـظ :

النـاسُ أمثـالُ السبـاع فانشـمر فمنهم السبـــــع ومنهم النمر

[ماجــاء فى البغــض]

قال النبى ﷺ : « ألا أخبركم بأشراركم من أكل وحده ، وشرب وحده وضرب عبده ، ومنع رفده ، ألا أخبركم بشرٍ من ذلك من يبغض الناس ويبغضونه »(١٥١) .

وقال الحجاج لخارجى : « والله إنى [لأخبركم](١٥٢) قال : أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة » .

وقال وكيع : « جئنا مرة إلى الأعمش فلما سمع حسنا فقام ودخل فلم يلبث أن خرج فقال : رأيتكم فأبغضتكم فدخلت إلى من هو أبغض منكم فخرجت إليكم » .

أنوشروان : « أحب أن يقلد ولده هرمز ولاية العهد فاستشار عظماء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم : إن الترك ولدته وفى أخلاقهم ما علمت فقال : الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات – وكانت أم قباذ تركية – وقد رأيتم من حسن سيرته وعدله ما رأيتم فقيل : هو قصير وذلك يُذهب بهاء الملك فقال : إن قصره من رجليه ولا يكاد يُرى إلا جالساً أو راكبا ولايستبين[ذلك

---

(١٥١) **حديث ضعيف جداً** : رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/٣٨٧ ح(١٠٧٧٥) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد(٨/١٨٣) : رواه الطبرانى وفيه عنبس بن ميمون وهو متروك » ا.هـ .

وعزاه صاحب الكنز لابن عساكر وقال : قال (أى ابن عساكر) : « إسناد هذا الحديث منقطع مضطرب » .ا.هـ . الكنز (٤٤٣٦٧) .

(١٥٢) كذا بالأصل والصواب [لأبغضك] .

فيه ، فقيل : هو بغيض فى الناس ، فقال : أواه هلك ابنى هرمز ، فقد قيل : إذا كان فى الإنسان خير][153] واحد ولم يكن ذلك الخير للمحبة فى الناس فلا خير فيه ، ومن كان به عيبٌ واحدٌ ولم يكن ذلك العيبُ مبغضة فى الناس فلا عيب فيه » .

وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب فى الفضل :

رأيتُ فضلاً شيئاً ملففاً ... فكشفه التمخيض حتى بدا ليا[154]
فأنت أخى ما لم تكن لى حاجةٌ ... فإن عرضت أيقنت أن لا أخا[155] ليا
ولست برأى عيب ذالو[156] وكله ... ولابغض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

وقال غيره :

وعينُ البُغْض تبرز كلَّ عيبٍ ... وعينُ الحبِّ لا تجد العيوبا[157]

[ماجاء فى الحسد]

وقال ابن عمر – رضى الله عنهما – « نعوذ بالله من قدرٍ وافق إرادة حسود »[158] .

---

(١٥٣) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المستطرف (١/٤٥٥) .

(١٥٤) ورد هذا البيت فى « عيون الأخبار» ضمن مجموعة أبيات (٨٧/٣) وسياقه هكذا :

[رأيت فُضَيْلاً كان شيئاً مُلَفَّفًا ... فكشَّفه التمحيص حتى بدا ليا]

(١٥٥)هذا البيت منسوب لجرير فى عيون الأخبار وبعده :

تعرضتُ فاستمررت من دون حاجتى ... فحالَكَ إنى مُسْتمر لحاليا]

(١٥٦) كذا بالأصل والصواب :

[فَلَسْتَ بِرَاءٍ عيبَ ذى الوُدِّ كلَّه]

(١٥٧) ورد البيت فى المستطرف (١/٤٥٥) .

(١٥٨) ورد الخبر فى المستطرف (١/٤٦٠) منسوبا لعمر بن الخطاب – رضى الله عنه – .

قيل لأرسطاليس : « ما بال الحسود أشد غما ؟ قال : لأنه يأخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف إلى ذلك غمه بسرور الناس »[159] .

وقال النبى ﷺ : « استعينوا على حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود »[160] .

تذاكر قوم من ظرفاء البصرة الحسد فقال رجل : « إن الناس لربما حسدوا على الصلب فأنكروا ذلك ، ثم جاءهم بعد أيام فقال : إن الخليفة قد أمر بصلب الأحنف ومالك بن مسمع وقيس بن الهيثم وحمدان الحجام فقالوا : هذا الخبيث يصلب مع هؤلاء فقال : ألم أقل لكم إن الناس يحسدون على الصلب » .

وقال منصور الفقيه(*) :

منافسةُ الفتى فيما يزولُ ... على نقصانِ همته دليلُ
ومختارُ القليلِ أقلُّ منه ... وكل فوائدِ الدنيا قليلُ[161]

---

(١٥٩) ورد الخبر فى المستطرف (١/٤٦٠) .

(١٦٠) **حديث صحيح** : أخرجه الطبرانى فى « الصغير » (٢/١٤٩) ، وأبونعيم فى « حلية الأولياء » (٥/٢١٥) والعقيلى فى الضعفاء (٢/١٠٩) وابن عدى فى الكامل (٣/١٢٤٠) ، وعزاه السيوطى فى الجامع الصغير (١/٤٠) للبيهقى فى شعب الإيمان ، والخرائطى فى اعتلال القلوب .

وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [٩٤٣] .

(*) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمى ، أبوالحسن ، فقيه شافعى ، من الشعراء . ضرير سافر إلى بغداد فى شبابه ، ومدح بها الخليفة المعتز ، وكان خبيث اللسان فى الهجو مات سنة ٣٩٦هـ .

(١٦١) البيتان فى المستطرف (١/٤٥٩) .

وقال المغيرة بن حبيب شاعر أبى المهلب :

آلَ المهلبِ قومٌ إن مدحتَهم كانوا الأكارم أبناءً وأجدادا
إن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئامِ القومِ حسادا[١٦٢]

وقال عثمان – رضى الله عنه – : « يكفيك من الحاسد أن ينقم وقت سرورك » .

وقال مالك بن دينار : « شهادة القراء مقبولة فى كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسدا من التيوس فى الوبر »[١٦٣] .

وقال أنس رفعه : « إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[١٦٤] .

وقال بعض حكماء العرب : « الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود » .

يقولُ الله تعالى : « الحاسد عدو نعمتى ، متسخط لفعلى ، غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى »[١٦٥] .

---

(١٦٢) البيتان للمغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب . انظر : معجم الشعراء (٣٦٩) ومحاضرات الأدباء (١/١٢٤) ، والمستطرف (١/٤٥٩) وعيون الأخبار (٢/١٣) والعرانين : جمع عرنين ، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الرفعة والأنفة .

(١٦٣) انظر المستطرف (١/٤٥٩) .

(١٦٤) **حديث ضعيف** : أخرجه أبوداود (٤٩٠٣) ، وعبد بن حميد فى المنتخب (١٤٣٠) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (١/١/٢٧٢) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع برقم [٢١٩٦] وفى السلسلة الضعيفة برقم [١٩٠٢] .

(١٦٥) ورد الخبر : فى المستطرف (١/٤٥٩) .
ــ والعقد الفريد (٢/١٧٠) .
ــ عيون الأخبار (٢/١٣) .

وقال عبدالله بن شداد بن الهاد صاحب رسول الله ﷺ – لابنه : « يا بنى إن سمعتَ كلمةً من حاسدٍ فكن كأنك لست بشاهد فإنك إن أمضيتها صار جميع العيب على من قالها » .

وقال الأصمعى: « رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مائة سنة فقلت له : ماطَوَّلَ عمركَ ؟ قال : تركت الحسد فبقيت »[١٦٦] .

وقال أعرابى: « مارأيتُ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد » .

شــعر

تراه كأن الله يجدع أنفـه وأذنيه إذ مولاه ثاب له وفـر

وقال أبوالطيب المتنبى وأجاد :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها إنى بما أنا باكٍ منه محسود[١٦٧]

وقال آخر :

« لايخلو السيد من ودود يمدح ، لايسلم الفاضل من قادح يقدح ، وإن غر القدم من قدح » .

لا تحسدونى فلا والله ما بلغتُ لولا الخساسة حال موضع الحسد
وإنما فى يدى عظم أمشمشـه[١٦٨] من المعـاش بلا لحم ولا غدد

---

(١٦٦) ذكره ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١٥/٢) مع اختلاف يسير فإنه قال : « قال الأصمعى : رأيت أعرابيا قد أتت له مائة وعشرون سنة ... »

(١٦٧) البيت فى ديوان أبى الطيب المتنبى (ص/٥٠٦) ورد هكذا :
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أنى بما أنا شاكٍ منه محسود

(١٦٨) مشَّه مشًّا وامتشه وتمشَّشَه ومشمشه . مصَّه ممضوغًا .
[لسان العرب (٣٤٧/٦ دار صادر]

وقال ابن مسعود – رضى الله عنه – : « ألا لا تعادى نعم الله ، قيل : ومن يعادى نعم الله قال : الذين يحسدون الناس[١٦٩] على ماآتاهم الله » .

وكان يقال : « إياك والحسد فإنه يتبين فيك ولا يتبين فى محسودك » .

وقال حكيم : « الحسد خلق دنىء : ومن دناءته أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب » .

وقيل لعبدالله بن عروة: « لِمَ لزمت البدو وتركت قومك ؟ قال : وهل بقى إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة »[١٧٠] . وعنه : « الحسود غضبان على القدر والقدر لايعتبه »[١٧١] .

« بينما عبدالله بن صالح العباسى يسير مع الرشيد فى موكبه إذ هتف هاتف : يا أمير المؤمنين ، طأطىء[١٧٢] من إشرافه ، وقصر من عنانه[١٧٣] ، واشدد من شكاله[١٧٤] ، فقال الرشيد : ما يقول هذا ؟ فقال عبدالملك مقال حاسد وخسيس حاسد قال : صدقت نقص القوم وفضلتهم ، وتخلفوا وسبقتهم ، حتى برز شاؤك[١٧٥] وقصر عنك غيرك ففى صدورهم جمرات التخلف وحزازات[١٧٦] التبلد فقال عبدالملك : ياأمير المؤمنين فأضرمها عليهم بالمزيد » .

---

(١٦٩) انظر : « بهجة المجالس وأنس المجالس » للقرطبى (٤٠٧/١) .
و« العقد الفريد» لابن عبدربه (١٧٠/٢) .

(١٧٠) ذكره الأبشيهى فى المستطرف (٤٦٠/١) .

(١٧١) الخبر فى المستطرف (٤٥٧/١) .

(١٧٢) طَأْطِىء : اخفض .

(١٧٣) عنانه : العنان : اللجام .

(١٧٤) شكاله : الشِّكَال : القيد ، وفى الخيل أن تكون إحدى اليدين ، وإحدى الرجلين من خلاف محجّلتين . [المعجم الوسيط (٤٩١/١)]

(١٧٥) كذا بالأصل ، والصواب [شأوك] أى شأنك ومنزلتك .

(١٧٦) حزازات : جمع حزازة ، والحزاز : ألم يحزُّ فى القلب من وجع أو غيظ أو خوف . [الوسيط (١٧٠/١)] .

[دع الغـل والأحقـاد]

شــعر

يا طالب العيشِ فى أمنٍ وفى دعةٍ رغداً بلا قترٍ صفوًا بلا رنـق
خَلِّصْ فؤادكَ من غلٍ ومن حسدٍ فالغِلُّ فى القلبِ مثل الغُلِّ فى العنقِ(١٧٧)

وهذا عباد بن ثعلبة حسده بنو أخيه فقال :

قد كنتُ أحسبكُم أو خِلتكُم ولدًا فاليومَ أعلمُ أن لستم بأولادِ
الله يعلم حُبى كيف كان لكم والله يعلـم ما غبتم(١٧٨) لعبـادِ

[عـداوة الأحنف لبنى مـروان]

كتب عبدالملك إلى الأحنف(١٧٩) يستدعيه فقال : « يدعونى بنى الزرقا إلى ولاية أهل الشام فوالله لوددتُ أن بيننا وبينهم جبلاً من نارٍ فمن أتانا منهم احترق ومن أتاهم منا احترق » .

---

(١٧٧) الدّعة : الراحة . والقتر : الضيق فى النفقة . والرنق : الكدر، والغِلّ: بالكسر الحقد والعداوة .

والغلُّ : بالضم طوق من حديد أو جلد يُجعل فى عنق الأسير .

(١٧٨) الغِيبة : بكسر الغين المعجمة : أن تذكر أخاك منْ ورائه بما فيه من عيوب يسترها ويسوؤه ذكرها .

(١٧٩) **الأحنف** : هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرى السعدى المنقرى التميمى ، سيد تميم ، وأحد العظماء الشجعان الفاتحين يضرب به المثل فى الحلم ، ولد فى البصرة ، وأدرك النبى ، ولم يره ، اعتزل الفتنة يوم الجمل وشهد صفين مع على ، ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه فأغلظ له الأحنف فى الجواب ، فسئل معاوية عن صبره عليه فقال : « هذا الذى إذا غضب غضب له مئة ألف لايدرون فيم غضب» ، وولى خراسان وكان صديقاً =

[ماجـاء فى الشـماتة]

وقال [ابن حبان][١٨٠] : قال لقمان : « نقلتُ الصخرَ وحملتُ الحديدَ فلم أر شيئاً أثقلُ من الدَّين ، وأكلتُ الطيباتِ وعانقتُ الحسانَ فلم أر شيئا ألذَّ من العافية وأنا أقول لو مسحوا القفار ونزحوا البحار ، وأحصوا الغبار لوجدوها أهون من شماتة الأعداء خاصة إذا كانوا مساهمين فى نسبٍ أو مجاورين فى بلد ، اللهم إنا نعوذ بك من تتابع الإثم وسوء الفهم ، وشماتة ابن العم »[١٨١] .

قيل لأيوب – عليه السلام – أى شيء كان عليك فى بلائك أشد ؟ قال : « شماتة الأعداء »[١٨٢] .

وقال واثلة بن الأسقع رفعه : « لاتظهر الشماتة بأخيك المسلم فيرحمه الله ويبتليك »[١٨٣] .

= لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوفد عليه بالكوفة وتوفى بها سنة ٧٢هـ ، وأخباره كثيرة جداً .

* الطبقات الكبرى لابن سعد (٦٦/٧) .
* وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٣٠/١) .
* الأعلام لخير الدين الزركلى (٢٧٦/١-٢٧٧) .

(١٨٠) كذا بالأصل والصواب [أبوحيان] .

(١٨١) الخبر فى المستطرف (٤٥٦/١) .

(١٨٢) الخبر فى : عيون الأخبار لابن قتيبة (١٣١/٣) .
وبهجة المجالس للقرطبى (٧٤٣/١) .
والمستطرف (٤٥٦/١) .

(١٨٣) **حديث ضعيف** : رواه الترمذى (٢٥٠٦) ، وأبونعيم فى الحلية (١٨٦/٥) ، والخطيب فى تاريخ بغداد (٩٦/٩) والبغوى فى شرح السنة (١٤١/١٣) .
وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع برقم [٦٢٥٨] .

وأنشد الجاحظ :

تقول العاذلاتُ تَسَلَّ عنها وَدَاوِ غليلَ قلبك بالسّلو
فكنتُ وقبلةٌ منها اختلاساً ألذّ من الشماتِة بالعدو[184]

وأنشد الجيزورى :

شماتتكم من فوق ما قد أصابنى وما بى دخول النار فى طنز مالك

ولابن أبى عيينة المهلبى :

كُلُّ المصائبِ قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداءِ[185]

وقال أعرابى: « بنو الطرق عنوان الشر » .

قيل لأفلاطون: « مارأيت سنانا هو أنفذ من شماتة الأعداء »[186] .

قيل لأفلاطون : « بم ينتقم الإنسان من عدوه ؟ قال : بأن يزداد فضلا فى نفسه »[187] .

---

(١٨٤) السُّلُوُّ : الصبر والهجر ، اختلاساً : اختطافاً .
والبيتان فى المستطرف (٤٥٦/١) .

(١٨٥) ورد البيت فى : بهجة المجالس (٧٤٦/١) ومحاضرات الأدباء (١٢٤/١) .
إلا أن البيت جاءت فيه كلمة [الحساد] بدلا من [الأعداء] .
وهذا المعنى شبيه بقول ذلك الأعرابى الذى أغير عليه فذُهب بإبله فقال :

لا والذى أنا عبد فى عبادته لولا شماتة أعداء ذوى إحن
ما سرنى أن إبلى فى مباركها وأن شيئاً قضاه الله لم يكن

وقول الآخر :

لولا شماتة أعداء ذوى حَسَدٍ أو اغتمام صديق كان يرجونى
لما طلبت من الدنيا مراتبها ولا بذلت لها عرضى ولا دينى

(١٨٦) الخبر فى المستطرف (٤٥٦/١) .

(١٨٧) ورد الخبر فى عيون الأخبار لابن قتيبة (١٢٤/٣) .

وقال النبى ﷺ : « خير ما أعطى المؤمن خلق حسن وشر ما أعطى الرجل قلب سوء فى صورة حسنة » .

سئل الحسن : أيحسد المؤمن ؟ قال : وما أنساك لبنى يعقوب »[188] « لو كانت المشاجرة شجرة لم تثمر إلا ضجراً» « إذا رأى نعمة بُهت وإذا رأى عثرة شمت » ، « الخلاف غلاف الشر » .

سنَّ العَدَاوَةَ آباءٌ لنا سلفوا [فلن] تبيد وللآباء أبناءُ[189]

بلغ عمرو بن عتبة شماتة قوم به فى مصائب فقال : « والله لئن عظم مصابنا بموت رجالنا لقد عظمت النعمة علينا بما أبقى الله لنا : شبابا يشبهون[190] الحروب وسادة يسدون المعروف وما خلقنا ، ومن شمت بنا إلا للموت » .

[شماتة كندة وحضرموت بموت الرسول]

لما قبض رسول الله ﷺ سمع بموته [رجال][191] من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن ، وضربن بالدفوف ، فقال رجل منهم :

أبلغ [أبا] بكر إذا [ما] جئتَه أن البغايَا رمن أى[192] مرامِ
أظهرن من موتِ النبى شماتةً وخَضَّبْنَ أيديهنَّ بالعلّام[193]

---

(188) الخبر فى عيون الأخبار (٢/١٢) .

(189) البيت من بحر البسيط ، وهو مثل قول أبى بكر الصديق – رضى الله تعالى عنه – « العداوة تُتوارث » .

انظر عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/١٢٢) .

(190) كذا بالأصل ، والصواب [يشبُّون] أى يشعلون .

(191) كذا بالأصل ، والصواب [نساء] .

(192) مابين المعكفات أثبتاه من عيون الأخبار (٣/١٣٣) .

(193) **العلّام** : الحناء ، والرواية فى بهجة المجالس بالعنّامْ ، والعنم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : بنان معنم .

فاقطع هُديتَ أكفهنَّ بصارمٍ كالبرق أومض[١٩٤] من متون غمامِ

فكتب أبوبكر – رضى الله عنه – إلى المهاجر عامله فأخذهنَّ وقطَّع أيديهنَّ » .

وقيل : « فلان يتربص بك الدوائر ، ويتمنى لك الغوائل[١٩٥] ، ولايؤمل صلاحاً إلا فى فسادك ، ولا رفعة إلا فى سقوط [حالك] »[١٩٦] .

كتب عبد الحميد بن مروان إلى أبى مسلم كتاباً قد نفث فيه حراشى صدره وكان من كبر حجمه قد حمل على جمل فدعا أبومسلم بناد فطرحه فيها إلا قدر ذراع كتب فيه هذين البيتين يقول :

محا السيفُ أشطارَ البلاغةِ وانتحى عليك ليوثَ الغابِ من كل جانبِ

فإن تقدموا نعمل سيوف أكيدة يهون عليها العتب من كل عاتب

قيل لعبدالله بن صالح الهاشمى إنك لحقود فتمثل يقول :

إذا ماامرؤٌ لم يحقدْ الوتر لم يكن لديه لذى النعمى جزاءٌ ولا شكرُ

وقال غيره :

فدع الوعيدَ فما وعيدك ضايرى[١٩٧] أطنين[١٩٨] أجنحة الذباب يضيرُ

---

(١٩٤) **أومض يومض** : لمع يلمع . والبيت كناية عن السرعة .

(١٩٥) **الغوائل** : جمع غائلة وهى الفساد والشر أو الداهية .

[الوسيط (٢/٦٦٦)] .

(١٩٦) ما بين المعكفين سقط استدركناه من عيون الأخبار (٣/١٣٣)] .

(١٩٧) **ضايرى** : أى يضرنى .

(١٩٨) **الطنين** : صوت الذباب ، والمقصود : اترك وعيدك وتهديدك لى فماذاك عندى إلا بمثابة طنين الذباب ، وهل يضر الإنسان طنين الذباب ؟!!

وقال على – كرم الله وجهه – : « لأضغطن الكوفة ضغطة تحبق[199] لها البصرة » .

عمارة بن عقيل قال :

ياأيها الراكبُ الماضى لطيته بلّغ حنيفةَ وانشر فيهمُ الخبرا
مهلا حنيفة إن الحرب [لو] طرحت عليكم عركها أسرعتم الضجرا

وقال مغلّس بن لقيط السرى[200] :

قرشيين كالذئبين يعتوراننى وشر صاحبات الرحال ذئابها
إذا رأيانى غرة أغربا بها أعادى والأعداءُ تعوى كلابُها
وإن رأيانى قد نجوتُ تلمسا لرجلى مغواة هياما ترابُها

وقال حكيم : « لاتأمنن الضعيف فإن القناة قد تقتل وإن عدمت السنان والزُّجُّ »[201] .

إذا ما رآنى مقبلاً شان نبله ويرمى إذا وليت ظهرى بأسهمِ

---

(١٩٩) الحبق : الضُّراط . [اللسان (٣٧/١٠) دار صادر] .

(٢٠٠) **مُغَلِّس بن لَقِيط** : هو مغلس بن لقيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسدى : شاعر جاهلى ، أورد البغدادى قصيدة له من جيد الشعر ، وقال ؛ كان كريما حليما شريفاً ، وقيل : إنه سعدى لا أسدى .

الأعلام : (٢٧٥/٧)

(٢٠١) **الزُّجُّ** : الحديدة فى أسفل الرمح .

[الوسيط (٣٨٩/١)] .

وللنابغة الجعدى :

وراثة نقص من أبيك ورثتها فلا رحتَ حتى تلاقى المتحلا

ولعمرو بن معديكرب :

عجَّتْ نساءُ بنى زياد عَجَّةً كعجيج[٢٠٢] نسوتنا علاف الأرنبِ

ولطفيل الغنوى :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجد من الغيظ فى أكبادنا والتحوب

ولأوس بن حجر :

رأيت يزيداً يذريني[٢٠٣] بعينه تشاوس[٢٠٤] رويداً إننى متأملُ

وله :

فمن لم يكنْ مسيئاً فإنه يشد على كف المسىء فيحلب

ولبعضهم :

فإن يك عكل[٢٠٥] سرها ما أصابنى فقد كنت مصبوباً على من يريبها

---

(٢٠٢) عَجَّ يعج عجًّا وعجيجًا : رفع صوته وصاح . [اللسان (٣١٨/٢)]

(٢٠٣) كذا بالأصل ولعل الصواب [يزدرينى] .

(٢٠٤) **شاس فلان شوساً** : نظر بمؤخر عينه تكبراً وتغيُّظاً ، وتشاوس تظاهر بالتيه . [الوسيط (٤٩٩/١)]

(٢٠٥) **عُكْل** : قبيلة من الرباب تُستَحْمق . يقولون لمن يستحمقونه عُكْلِىٌّ ، وعكل اسم بلد . انظر معجم البلدان لياقوت الحموى (١٤٣/٤) .

ولعبد الله بن سليمان بن وهب :

كاد الأعادى فلا والله ما تركوا قولاً وفعلاً وتلقيناً وتهجيناً
ولم نزد نحن فى سرٍ وفى علنٍ على مقالتنا ياربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدَنا بغيظه لم ينل تقديره فينا[٢٠٦]

قال قدامة بن موسى المدنى :

إن بدراً نعمة سابغة خصنا الله بها حين قسم
فضَّل الله بها أهل التقى وبنى الله بيوتاً وهدم
إنما يحسدنا أو يبغضنا كشفا الجد أعداء النعم

فى نوابغ الكلم : « الحسدُ حسكٌ[٢٠٧] من تعلق به هلك » .

قال نصر بن سيار :

إنى نشأتُ وحسادى ذوو عددٍ ياذا المعارج لاتنقصْ لهم عدداً
إن يحسدونى على ما بى لما بهم فمثل ما بى مما يجلب الحسدا[٢٠٨]

[وقال] معن بن زائدة :

إنى حسدتُ فزاد الله فى حسدى لاعاشَ من عاش يوماً غير محسودِ[٢٠٩]

---

(٢٠٦) الأبيات فى المستطرف (١/٤٥٧) .
(٢٠٧) **الحَسَكُ** : الشَّوْكُ .
(٢٠٨) البيتان فى المستطرف (١/٤٦٠) .
(٢٠٩) ورد البيت فى المستطرف (١/٤٦٠) .

[وقال] **حسيل بن عرفطة الأسدى :**

لايهنك بغض فى الصديق فظنه ... وتحديثك الشيء الذى أنت كاربه
وإنك مشنو[210] إلى كل صاحب ... بلاك ومثل الشيء يكره راكبه
فلم أر مثل الجهل أدنى إلى الورى ... ولامثل بغض الناس غمض صاحبه

وقال الحسن : « الكبش يعتلف ، والسكين تحدد ، والتنور تُسْجَر »[211] .

كتب علي – رضى الله عنه – إلى أهل البصرة : « فإن خَطَت بكم الأهواء المُرْدِية ، [وسَفَهُ] الآراء [الجائرة] إلى منابذتى [تريدون] خلافى [فَهَأَنَذَا] قد [قرَّبتُ] جيادى ، ورَحَلْتُ ركابى ، ولئن [ألجأتمونى] إلى المسير معكم ، لأوقعنَّ بكم وقعةً لايكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاعق مع أنى عارف لذى الطاعة منكم فضله ، ولذى النصيحة حقه ، غير متجاوزٍ متهماً إلى برىء ، ولا ناكثاً إلى وَفىّ »[212] .

[وقال] **عقال بن شبية** : كنت رديف أبى فلقيه جرير فحياه ولاطفه فقلت له : أبعد ما قال ؟ قال : يا بنى أفأسع جرحى » .

قال السفاح لسديف حين أغراه على بنى مروان : يا سديف خُلق الإنسان من عجل ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سلفوا ... فلن تبيد وللآباءِ أبناءُ

وعن المنصور قال :

« إذا مد عدوك إليك يده فاقطعها إن أمكنك وإلا فقبِّلها »[213] .

(٢١٠) **مَشْنُوٌّ** : أى مبغوض ومكروه .

(٢١١) **التَّنُّور** : الفرن ، **وتُسْجَر** : تُوقَد .

(٢١٢) ما بين المعكفات أثبتناه من النص الوارد فى « جمهرة رسائل العرب » (٥٠٧/١) رسالة رقم (٥٢٨) .

(٢١٣) هذا الخبر ذكره ابن قتيبة معزواً لمحمد بن يزداد الكاتب . انظر عيون الأخبار (١٢٨/٣) .

البـاب الرابع : فى العدل والإنصاف واستعمال السوية فى القسمة وغيرها ، ومن عدل وأوصى بالعدل

قال النبى ﷺ : « زيَّن الله الدنيا بثلاث : بالشمس ، والقمر ، والكواكب ، وزيَّن الأرض بثلاث : بالعلماء ، والمطر ، وسلطان عادل »[٢١٤] .

أول خطبة خطبها عمر – رضى الله عنه –: «أيها الناس : إنه والله مامنكم أحدٌ هو أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ، ثم نزل »[٢١٥] .

وقال على – كرم الله وجهه – : « أشدُّ الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الإخوان بالمال ، وإنصاف الناس من نفسك »[٢١٦] .

وجَّـه على – رضى الله عنه – ابن عباس ، وعمار بن ياسر ، والحسن ابنه حين توجه إلى صفين لعزل أبى موسى عن الكوفة وحَمْلِ ما فى بيت مالها فوجدوا فيه اثنين وخمسين ألف ألف درهم فقال : كيف اجتمع هذا كله للأشعرى ولم

---

(٢١٤) لم أقف عليه . وورد « العلماء مصابيح الأرض » وهو ضعيف ، أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث على .

(٢١٥) ذكرها المبرد فى كتاب « الكامل فى اللغة والأدب » (٨/١) وقال : (قال أبوالحسن قد روينا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح) ا.هـ .

(٢١٦) هذا الأثر رواه أبونعيم فى الحلية (٨٥/١) ، ولفظه : « أشد الأعمال ثلاثة : إعطاء الحق من نفسك ، وذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ فى المال » .

يجتمع لمن قبله ؟ فقال [مشاجع][٢١٧] بن مسعود : أصدقكم والله ما جمعه إلا العدل فى الرعية وإقامة أمر الله فى عباده .

كان الإسكندر يقول : « يا عباد الله إنما إلهكم الله الذى فى السماء ، الذى نصر نوحًا بعد حين ، الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة ، وإليه مفزعكم عند الكرب ، والله لايبلغنى أن الله أحب شيئا إلا أحببته واستعملته إلى يوم أجلى ، ولا أبغض شيئا إلا أبغضته وهجرته إلى يوم أجلى ، وقد نُبِّئْتُ أن الله يحب العدل فى عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض ، فويلٌ للظالمِ من سيفى وسوطى ، ومن ظهر منه العدل من عُمالى فليتكىء فى مجلسى كيف شاء ، وليتمن علىَّ ما شاء فلن تخطئهُ أمنيتهُ والله المجازى كلاً بعمله » .

وعنه : « إذا لم يُعَمر المَلكُ ملكهُ بالإنصاف خرَّب ملكهُ بالعصيان »[٢١٨] .

العباس بن عبدالمطلب :

أبا طالبٍ لاتقبل النصف منهمُ ... أبا طالب حتى تعق وتظلما
أبا قوم إن ينصفونا فأنصفت ... قواطع إيماننا تقطر الدما

---

(٢١٧) كذا بالأصل والصواب [مجاشع] وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمى صحابى من القادة الشجعان استخلفه المغيرة بن شعبة على البصرة فى خلافة عمر ، وقيل : كان على يديه فتح « حصن أبرويز » بفارس ، وكان يوم الجمل مع عائشة أميراً على بنى سليم ، توفى عام ٣٦هـ .

انظر : « تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلانى (٣٨/١٠) .
— الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ت (٧٧٢٣) .
— الأعلام للزركلى (٢٧٧/٥) .

(٢١٨) الخبران مذكوران فى المستطرف (٢٢٩/١-٢٣٠) .

أنو شروان : قيل له : « أى الجنن أوق ؟ [قال :][219] الدِّين ، قيل : فأى العُدَد أقوى ؟ قال : العدل » .

شكوا إلى جعفر بن يحيى عاملاً له فوقَّع إليه : « قد كثر شاكوك [وقل شاكروك] فإما اعتدلتَ وإما اعتزلتَ » .

قيل لعلى بن الحسين – رضى الله عنه – : « ما بالك إذا سافرتَ كتمتَ نسبك أهل الرفقة فقال : إن آخذ برسول الله ﷺ مالاً أُعطى مثله . أنصف ، وانظر بعين الرضا ، ثم اقتحم بى جمر الفضا » ، « من أنصف من نفسه رضى به حكما لغيره » .

قال رجل لسليمان بن عبدالملك وهو جالس للمظالم : ألم تسمع قول الله تعالى ﴿**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**﴾[220] ، قال : فما خطبك ؟ قال : وكيلك اغتصب ضيعتى وضمها إلى ضيعتك الفلانية ، قال : فضيعتى لك وضيعتك مردوُدة إليك ، وكتب إلى الوكيل بذلك وبصرفه عن عمله » .

رقى إلى كسرى بن قباذان فى بطانة الملك من فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم فقال : « إنما أملك الأجسادَ لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالرضا ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر » .

[قال] هارون بن محمد البالسى :

زيد فى قدرك العلىِّ علواً	يا ابن وهب من كاتبٍ ووزيرِ
أنت وجه الإمامِ لازلت طلقاً	بك تفتر عابساتُ الأمورِ
أشرف الشرق منك والغرب من	ضَوْءٍ من العدل فاق ضوءَ البُدُورِ

---

(219) ما بين المعكفين أثبتناه ليستقيم المعنى والمقصود [أى الدروع أوق؟] .

(220) سورة النساء الآية : 43 .

أنشر الناس غيثكم بعد ما كانوا رفاتا من قبل يوم النشورِ
شرد الجورَ عدلُكم فسرحنا منكم بين روضة وغديرِ

نزل رجل بعلى – كرم الله وجهه – فمكث عنده أياماً ثم تغوث[٢٢١] إليه فى خصومة فقال على : أخصم أنت ؟ قال : نعم ، قال : تحول عنها فإن رسول الله ﷺ « نهى أن يضاف خصم إلا ومعه خصمه »[٢٢٢] .

وعنه « بالسيرة العادلة يقهر المنادى » .

مات بعض الأكاسرة فوجدوا له سفطا[٢٢٣] فُفتح فإذا فيه حبة رمان كأكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها : «[هذه] من حب رمان عمل فى خراجه بالعدل »[٢٢٤] .

تظلم أهل الكوفة إلى المأمون من واليهم فقال : « ما علمتُ فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم : ياأمير المؤمنين ، ما أحدٌ أولى بالعدل والإنصاف منك ، فإن كان بهذه الصّفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلداً بلداً حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا ، ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا وإذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك وعزله »[٢٢٥] .

---

(٢٢١) غوَّث الرجل : قال : واغوثاه ، وغَوَّث فلانًا وبه : استنصره واستعان به . [الوسيط (٦٦٥/٢)] .

(٢٢٢) لم أقف عليه .

(٢٢٣) السَّفَطُ : وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء ، أو هو وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها . [الوسيط(٤٣٣/١)] .

(٢٢٤) الخبر فى المستطرف (٢٣٠/١) .

(٢٢٥) الخبر فى المستطرف (٢٣٠/١) .

كتب عدى بن أرطأة[٢٢٦] إلى عمر بن عبدالعزيز : أما بعد : « فإن قبلَنا قوم لايؤدون الخراج إلا أن يمسهم العذاب فاكتب إلىَّ رأيك فيهم فكتب إليه : أما بعد : فالعجب لك كل العجب تكتب إلىّ تستأذننى فى عذاب البشر كأن اذنى لك جُنَّة من عذاب [الله] وكأن رضاى ينجيك من سخط الله ، فمن أعطاك ما عليه عفواً فخذه منه ، ومن أبى فاستحلفه وكِله إلى الله تعالى لأن يلقوا الله بجرائمهم أحبُّ إلىّ من أن تلقاه بعذابهم والسلام »[٢٢٧] .

[متى تعبدتم الناس ؟]

« جاء رجلٌ من مصر إلى عمر – رضى الله تعالى عنه – فقال : ياأمير المؤمنين هذا مقام العايذ فقال : لقد عذتَ عياذاً فما شأنك ؟ قال : سابقتُ ولد عمرو بن العاص فسبقتهُ فجعل يقنِّعنى[٢٢٨] بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، وبلغ عمرو فحبسنى خشيةَ أن آتيك فانفلتُ فكتب عمر إلى عمرو : إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وابنك ، وقال للمصرى : أقم حتى يقدم عمرو ويشهد الحج ، فلما كان وقت قدومه رمى الدرة[٢٢٩] فضرب ولد عمرو وعمر يقول : اضرب ابن الأمير ، حتى قال : يا أمير المؤمنين ، قد استغنيت ، ثم قال : ضعها على صلعة عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ضربت الذى ضربنى ، فقال :

---

(٢٢٦) **عدى بن أرطأة** : هو عدى بن أرطأة الفزارى أبو واثلة : أمير من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ، ولاه عمر بن عبدالعزيز على البصرة سنة ٩٩هـ ، فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط سنة ١٠٢هـ فى فتنة أبيه (يزيد) بالعراق .

انظر الأعلام (٢١٩/٤) والكامل للمبرد (١٤٩/٢) .

(٢٢٧) انظر « جمهرة رسائل العرب » (٢٦٨/٢) .

(٢٢٨) **يقنِّعنى** : قنَّع فلان فلاناً بالسيف أو السوط أو العصا : علاه به .

(٢٢٩) **الدِّرَّةُ** : السوط يضرب به ، والجمع دِرَرٌ . [الوسيط (٢٧٩/١)]

وأيم الله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ، ثم قال : يا عمرو ، متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »[٢٣٠] .

وقال الأحنف : « ما عرضت النصفة على أحد قط فقبلها إلا دخلتنى له هيبة » .

قدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء[٢٣١] وقال : بلغنى أبيات عن [سليمان][٢٣٢] بن يزيد العدوى فى العدل فقم بنا إليه ، فأشرف إليهم من غرفة فقال : لواصل : من هذا الذى معك ؟ قال : عبدالله بن محمد بن على بن عباس[٢٣٣] ، قال : رحبٌ على رحبٍ ، وقربٌ إلى قربٍ ، قال : يحب أن يسمع أبياتك فى العدل ، فأنشده :

---

(٢٣٠) الرواية ذكرها بلفظها الأبشيهى فى المستطرف (٢٣٩/١) .

(٢٣١) **واصل بن عطاء** : رأس المعتزلة ، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين سمى أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصرى ، ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ .ونشأ بالبصرة ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا فتجنب الراء فى خطابه وضرب به المثل فى ذلك .

يقول أبومحمد الخازن فى مدح الصاحب بن عبَّاد :

نعم تجنب [لا] يوم العطاء كما　　تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وله تصانيف منها : « أصناف المرجئة » و« المنزلة بين المنزلتين » و« معانى القرآن » و« السبيل إلى معرفة الحق » و« التوبة » .

[الأعلام (١٠٨/٨-١٠٩)] .

(٢٣٢) فى المستطرف [سليم] .

(٢٣٣) عبدالله بن محمد بن على بن العباس هو : أبوجعفر المنصور (٩٥هـ – ١٥٨هـ) ثانى خلفاء بنى العباس وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفاً بالفقه والأدب محباً للعلماء ولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ وهو مؤسس مدينة بغداد ، ومدة خلافته ٢٢ عاماً .

[الأعلام (١١٧/٤)] .

حتى متى لا نرى عدلاً نُسرّ به ... ولا نرى لُولاةِ الحقِّ أعوانــاَ
مستـمسكين بحقٍ قائـمين به ... إذا تلوَّن أهلُ الجورِ ألوانــاَ
يا للرجـــال لداءٍ لا دواءَ له ... وقائدٍ ذى عمىً يقتاد عمياناَ

فقال المنصور : « وددت [لو] أنى رأيت يوم عدل ثم مت[٢٣٤] » قال ابن المبارك : « فهلك أبوجعفر والله وما عدل » .

وقال فضيل : « ما ينبغى لك أن تتكلم بغمك كله تدرى من يتكلم بغمه كله ؟ عمر بن الخطاب كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ ، ويكسيهم اللين ويلبس الخشن ، ويعطيهم الحق ويزيدهم ، وأعطى رجلاً عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفا ، فقيل له : ألا تزيد ابنك كما تزيد هذا ؟ فقال : إن هذا ثبت أبوه يوم أحد ولم يثبت أبو هذا » .

وقال عبادة بن الصامت : « صلى بنا رسول الله ﷺ إلى بعير من إبل الصدقة فلما سلّم تناول وبرة من البعير وقال : « مالى مما أفاء الله إليكم ولا بمثل هذا إلا الخمس والخمس مردود فيكم »[٢٣٥] .

وقال سليمان بن عبدالملك لأبى حازم : « وما النجاة من هذا الأمر ؟ قال : شيء هين ، قال : وما هو ؟ قال : لايأخذ شيئاً إلا من حقه ، ولايضعه إلا فى حقه ، قال : ومن يطيق هذا ؟ قال : من طلب الجنة وهرب من النار

---

(٢٣٤) ذكر الخبر بتمامه فى المستطرف (١/٢٣٠ - ٢٣١) .

(٢٣٥) **حديث صحيح** : أخرجه أبوداود (٢٧٥٥) والحاكم (٣/٦١٦) والبيهقى (٦/٣٣٩) من حديث عمرو بن عبسة .

وأخرجه النسائى (٤١٣٨) ، وابن ماجه (٢٨٥٠) ، والحاكم (٣/٤٩) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٦/٣٠٣ ، ٣١٥) ، وأحمد (٥/٣١٨ ، ٣١٩) من حديث عبادة بن الصامت . وصححه الألبانى فى إرواء الغليل برقم (١٢٤٠) .

لايكون العمران إلا حيث يعدل السلطان ، العدل حصن وثيق فى رأس نيق(٢٣٦) لايحطمه سيل ولا يهدمه منجنيق » .

وعنه : « اكفنى أمره وإلا كفيته أمرك » .

وقال بعض السلف : « العدل ميزان الله ، والجور مكيال الشيطان ، الملكُ العدل [مكنوف] بعون الله ، محروس بعين الله » .

وقال بليغ : « رأيت صورة قمرية وسيرة عمرية » .

وقال آخر : « رأيت بفلان نور القمرين ، وعدل العمرين »(٢٣٧) .

وقال أردشير(٢٣٨) : « إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة » .

وعنه : « لاسلطان إلا برجالٍ ، ولا رجال إلا بمالٍ ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة » ولم يكن بعد أزدشير أعدل من أنوشروان ، وهو الذى ولد لسبع سنين خلت من ملكه ، وقال : « ولدت فى زمن الملك العادل وسائر الأكاسرة كانوا ظلمة يستعبدون الأحرار ، ويتسخرون

---

(٢٣٦) **النِّيق** : أرفع موضع فى الجبل والجمع أنياق ونيوق .
[اللسان (٣٦٤/١٠)]

(٢٣٧) **عدل العمرين** : يقصد عمر بن الخطاب ، أبا بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين فلا يذكر العدل إلا أن يذكرا معه ، وبهما يضرب المثل فى العدل والإنصاف بين الرعية ، انظر : ثمار القلوب للثعالبى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص (٨٥) .

(٢٣٨) من ملوك الفرس ، ذكر الطبرى فى تاريخه أنه قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : « نحن محافظون على الوفاء ودائنون رعيتنا بالخير » . فكان يدعى أردشير الطويل الباع ، وإنما لقب بذلك – فيما قيل – لتناوله كل ما مد إليه يده من الممالك التى حوله ، وكان – فيما ذكروا – متواضعاً مرضيًّا فيهم » ا.هـ وذكر الطبرى أن ملكه كان مائة واثنتى عشرة سنة فى حين أن الكلبى ذكر : أن ملكه كان ثمانين سنة .

انظر : تاريخ الطبرى (٥٦٨/١) دار المعارف .

الرعايا ، ويستأثرون عليهم بكل شيء فلا يسجر أحد أن يطبخ سكباجا[٢٣٩] ، أو يلبس ديباجاً ، أو يركب هملاجاً[٢٤٠]أو ينكح [حوراً]، أو يبنى قوراً[٢٤١] ، أو يؤدب ولده ، أو يمد إلى مروءة يده »

ويبنون الأمر على قول عمرو بن مسعدة للمأمون : « كل ما يصلح للمولى على العبد حرام » .

وقال أنوشروان : « كفاك من بركة العدل فى الرعية وحفظ الله لصاحبه ما أعطى » .

وقال الضحاك : « من ملك ألف سنة ، أما والله لو أن ملوك يونان وهوران – يعنى حمير والأشعار – عدلوا لطالت أعمارهم ، فاقتدوا بخيار ملوكهم وأهل الفضل منهم تسعدوا بالعيش ماعشتم ، وتصيروا بعد الموت إلى خير منه » .

وقال أرسطاليس : « العدل حسن وهو علة كل حسن ، ولذلك الحسن مع كل معتدل ، والجور قبيح وهو علة كل قبيح ، ولذلك القبح خارج عن حد الاعتدال » .

وقال سقراط : « ينبوع فرح الإنسان القلب المعتدل ، وينبوع فرح العالم الملك العادل ، وينبوع حزن الإنسان القلب المختلف المزاج ، وينبوع حزن العالم الملك الجائر » .

((٢٣٩) **سكباجا** : السكباج : طعام يُعمل من اللحم والخل مع توابل وأفاويه ، القطعة منه : سكباجة (معربة) .

[الوسيط (٤٣٨/١)] .

(٢٤٠) **الهملاج** : من البراذين : المُهَمْلج ، الحسن السير فى سرعة وبخترة .

[الوسيط (٩٩٥/٢)] .

(٢٤١) **القور** : الدار الواسعة .

« قدم عبدالله بن زمعة[٢٤٢] على علىّ — كرم الله وجهه — فى خلافته ، وكان من شيعته وطلب منه مالا فقال له : إن هذا المال ليس لى ولا لك وإنما هو للمسلمين ، وجلب أسيافهم فإن [شاركتهم] فى حربهم كان لك مثل حظهم ، وإلا فنجاة أيديهم لا تكون لغير أفواههم .

وقال لعامله : « انطلق على تقوى الله وحده لاشريك له ، ولا تُرَدّعَنَّ مسلماً ، ولا تختارن عليه كارها ، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله فى ماله فإذا قدمتَ على الحى فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولاتخدج التحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلنى إليكم ولى الله وخليفته لآخذن منكم حق الله فى أموالكم فهل لله فى أموالكم من حق فقودوا إلى وليه ، فإن قال قائل لا فلا تراجعه ، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من [غير] أن [تخيفه][٢٤٣] أو توعده أو تعسفه أو ترهقة فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة فإن كانت لك ماشية أو إبل فلا تدخل إلا بإذنه فإن أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف به ، ولا تقرن بهيمة ولا تفزعها ، ولا تسول صاحبها فيها » .

وقال للأشتر[٢٤٤] حين ولاه مصر : « واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيك شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك حتى يكلمك مكلمهم غير متعتع فإنى سمعت رسول الله ﷺ فى غير وطن لن يقدس أمته [من] يأخذ للضعيف

(٢٤٢) هو عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصى الأسدى وأمه أخت أم سلمة زوج النبى ﷺ وهو زوج زينب بنت أم سلمة وهو الذى خرج فأمر عمر بالصلاة حين غاب أبوبكر فى مرض النبى ﷺ .

انظر التهذيب لابن حجر (٥/٢١٨-٢١٩) .

(٢٤٣) ما بين المعكفات أثبتناه ليستقيم المعنى .

(٢٤٤) **الأشتر** : هو مالك بن الحارث بن عبديغوث النخعى ، المعروف بالأشتر أمير ، من كبار الشجعان ، وكان رئيس قومه ، أدرك الجاهلية ، وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة «عمر] فى الجابية ، وسكن الكوفة ، وكان له نسل فيها ، وشهد اليرموك وذهبت =

فيها حقه من القوى غير مستعتع ، ثم احتمل الخرق منهم والعى ، ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته » .

ولما ولى عمر بن عبدالعزيز أخذ فى رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا إلى عمةٍ كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها : إن رسول الله ﷺ سلك طريقاً ، فلما قُبض سلك صاحباه ذلك الطريق ، فلما ملك عثمان – رضى الله عنه – سلك مثله غير أنه أخذ فيه أخدوداً ، فلما أفضى العجز إلى معاوية فجرَّهُ يميناً وشمالاً ، وأيم الله لئن مدَّ فى عمرى لأردنَّهُ إلى الطريق الذى سلكه رسول الله ﷺ وصاحباه ، فقالت له : ياابن أخى إنى أخاف عليك منهم يوما عصيباً ، فقال : كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمننيه الله فخرجت إليهم ، فقالوا : أتتزوجون فى آل عمر بن الخطاب فإذا نزعهم الشبه تكلم »(٢٤٥) وذلك أن أم عمر [أم](٢٤٦) عاصم بن عمر بن الخطاب .

[قال] كثير عزة فى عمر بن عبدالعزيز :

قد غيب الدافنون فى عمر	بدير قسطاس الموازين
ضمن عيب منى اودع وضمن	فلذلك عدا إلى اثنين

« نزل بالحسن بن على ضيف فاستسلف درهماً اشترى له به خبزاً واحتاج إلى الإدام فطلب من قنبر(٢٤٧) أن يفتح له زقاق به عسل جاء من اليمن فأخذ منه

=عينه فيها، وشهد يوم الجمل وأيام صفينم مع على، وولاه على « مصر » فقصدها، فمات فى الطريق مسموما فقال على : رحم الله مالكا فلقد كان لى كما كنت لرسول الله ، وله شعر جيد ، ويعد من الشجعان الأجواد والعلماء الفصحاء .

الإصابة فى تمييز الصحابة ت (٨٣٣٥) .

والأعلام للزركلى (٥/٢٥٩) .

(٢٤٥) ورد هذا الخبر فى المستطرف (١/٢٣١) .

(٢٤٦) كذا بالأصل والصواب [بنت] .

(٢٤٧) اسم رجل كان خادماً للبيت العلوى .

رطلا فلما قعد على – كرم الله وجهه – ليقسمها فقال : ياقنبر ، قد حدث فى هذا الزق[٢٤٨] حادث فقال : صدقت ، وأخبره الخبر فغضب وقال : علىَّ به فرفع عليه الدرة ، فقال : بحق عمى جعفر ، وكان إذا سُئل بحق جعفر سكن ، وقال : ما حملك أن أخذت منه قبل القسمة ؟ قال : إن لنا فيه حقاً فإذا أعطيتنا أرجعناه ، قال : فداك أبوك ، وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم ، لولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبَّل ثنيتك لأوجعتك ضرباً ، ثم دفع إلى قنبر درهماً وقال : اشتر به أجود العسل ، قال الراوى : فكأنى أنظر إلى يدى علىّ على فم الزق وقنبر يقلبُ العسل فيه ثم شده وجعل يبكى ويقول : اللهم اغفر للحسن فإنه لايعلم » .

وقال الحسن : أتى عمر – رضى الله عنه – مالٌ كثير فأتت إليه حفصة فقالت : ياأمير المؤمنين ، حق أقربائك فقد أوصى الله بالأقربين ، فقال : ياحفصة إنما حق أقربائى فى مالى فأما مال المسلمين فلا ، فقالت حفصة : نصحتَ قومك وغششتنا ، وقامت تجر زيلها » والله أعلم .

---

(٢٤٨) الزِّقّ : وعاء من جلد يجز شعره ولاينتف للشراب وغيره .
[الوسيط (٣٩٦/١)] .

الباب الخامس : فى العجز والتوانى والكسل والبطء والتردد فى الأمر وما أشبه ذلك

قال سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنه – : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ فسأل سائل : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح [ألف][*] تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، ويحط عنه ألف خطيئة »[249] .

وقال على – كرم الله وجهه – : « من أطاع التوانى ضيع الحقوق »[250] .

وقال أكثم بن صيفى : « ما أحب أن أكفى جميع أمر الدنيا ، قيل : ولم ذاك ؟ قال : أخاف عادة العجز » .

(*) كذا بالأصل وعند مسلم وأحمد والحميدى [مائة] .

(٢٤٩) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٦٩٨) ، وأحمد فى المسند (١٨٠/١ ، ١٨٥) ، والحميدى فى مسنده ح(٨٠) .

(٢٥٠) ذكر هذا الأثر فى المستطرف (١٢٧/٢) .

وعنه أيضا : التوانى مفتاح البؤس ، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ، ومن لم يطلب لم يجد ، وأفضى إلى الفساد .

وقال أبو المعالى[٢٥١] :

إن التوانى أنكح العجز بنتَهُ — وساق إليها حين زوَّجها المهرا
فراشاً [وطيباً][٢٥٢] ثم قال لها اتكى — [فقعر كا لاشك][٢٥٣] أن تلدا الفقرا

قال جرير للفرزدق ظننت أن تفعل كذا فقال :

طالما أخلفت ظن العجزة وما — ظنَّك بالخلْفاء أدنيت لها ناراً

« خرج المعتصم إلى بعض متنزهاته فظهر لهم أسدٌ فقال لرجل أعجبه قوامه وتمام خلقه : يارجل أفيك خيرٌ ؟ فقال بالعجلة : لا والله يا أمير المؤمنين ، فضحك المعتصم ، وقال : قبحك الله » .

لا تضجرنَّ ولايدخلك معجزة — فالنجح بين العجزِ والكسلِ

وقال غيره :

فلا تركن إلى كسلٍ وعجزٍ — يُحيل على المقادر والقضاءِ

---

(٢٥١) البيتان لهلال بن العلاء الرَّقَّاء هكذا بالمستطرف (١٢٧/٢) .
وأما فى عيون الأخبار لابن قتيبة فالبيتان لأبى المعافى ، وهو يعقوب بن إسماعيل المزنى شاعر من أبناء العصر العباسى توفى نحو ١٨٠هـ .
الأعلام (١٩٦/٨) .

(٢٥٢) كذا بالأصل وبالمستطرف [وطيئاً] وكذا فى عيون الأخبار .

(٢٥٣) كذا بالأصل وبالمستطرف [فإنكما لابدّ] ، وفى عيون الأخبار [قصاراهما] .

[وقال] أبوبكـر العذرى(٢٥٤) :

أرى عاجـــزاً لعفافـــه ولولا التقى ماأعجزته مذاهبُهْ
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى ولا باحتيال أدرك المالَ كاسبُهْ

وقال أعرابى : « العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم [للحليلة] »(٢٥٥) .

وقيل : « فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ، [ويورثه](٢٥٦) الهوينا بإحالته على القدر » .

وقال الحسن – رضى الله عنه – : « إن أشد الناس صراخاً يوم القيامة رجل سن سنة ضلالة فاتبع عليها ، ورجل فارغ مكفى قد استعان بنعم الله على معاصيه » .

قيل لسهل بن هارون : خادم القوم سيدهم ، قال : « هذا من إخبار الكسلان » .

وقال بعضهم :

أصبحتُ لا رجل يغدو لمطلبه ولا قعيدةُ بيت يحسن العملَا

---

(٢٥٤) البيتان لأبى تمام ذكرهما الأبشيهى فى جملة أبيات وسياق الأبيات هكذا :

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبًا وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها فأهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزًا يدعى جليداً لقسمة ولو كلّف التقوى لكلّت مضاربه
وعفًا يسمى عاجزًا بعفافه ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى ولا باحتيالٍ أدرك المال كاسبه

انظر المستطرف (١٢٨/٢) .

(٢٥٥) فى المستطرف [للأمانى المستحيلة] .

(٢٥٦) فى المستطرف [ويرويه].

وقال لبيد : « الخيبة نتيجة مقدمتين الكسل والفشل ، وثمرة شجرتين الضجر والملل » .

قيل : « شعاره الكسل ، ودثاره التسويف » .

وقيل : « الكسلُ باب الخصاصة » « الكسلان إذا أرسلته فى حاجة تكهن عليك » .

يسحبُ رجلاً لا تكاد تنسحبُ إن الهوينا تورث الهوانا

[وقال] غيره :

لو سابق الذَّرَّ[٢٥٧] مشدوداً قوائمه يوم الرهانِ لكان الذر يسبقهُ

« التعبد ثقيل على أهله كثقله فى الميزان ، والكسل يخف على أهله كخفته فى الميزان » .

وقال لقمان – عليه السلام – : « يابنى إياك والكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم [ترد][٢٥٨] حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق »[٢٥٩] .

وقال طاهر بن الفضل : « الكسلان منجم والبخيل طبيب » .

وقال العطاف الكلبى :

كلوا عجوةَ الوادِى فإن بلاكم ضعيفاً إذا ما كان يوم قماطرُ
ولا تغضبوا مما أقول فإنما أنفتُ لكم مما يقول المعاشرُ

---

(٢٥٧) الذَّرُّ : صغار النمل ، ومايرى فى شعاع الشمس الداخل من النافذة . [الوسيط (٣١٠/١)] .

(٢٥٨) بالمستطرف [تؤد] .

(٢٥٩) الخبر فى المستطرف (١٢٨/٢) .

[وأنشد] **ابن الدفقــى** :

إذا وضع الراعى على الأرض صدره فحق على المعزى بأن تتبددا[٢٦٠]

وقال ابن السماك : « جلاء القلوب استماع الحكمة ، وصداؤها الملالة والفتور » .

[وقال] **المأمون** : « إن النفس تمل الراحة كما تمل التعب » .

وقال أبجر بن جابر العجلى : « يابنى إياك والسآمة فى الأمور فتقذفك الرجال خلف أعقابها » .

[وعن] **على – كرم الله وجهه –** : « إلى كم أغضى على القدر ، وأسحب ذيلى على الأذى وأقول لعل وعسى » .

[وعن] **عمر – رضى الله تعالى عنه –**: «إنى أرى أحدكم فارغاً سهلا لا فى عمارة دنيا ولا فى عمل آخرة أحذركم عاقبة الفراغ فإنها أجمع لأبواب المكروه من السكر ، إذا كان الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة » .

حجَّام ساباط : مَثَلٌ فى الفراغ ، وهى ساباط المداين ، كان بها حجَّام إذا مر به المبعوث حَجَّمَهُم[٢٦١] بنسيئة[٢٦٢] إلى وقت القفول ، وقيل : حجَّم مرة أبرويز[٢٦٣] فأمر له بما أغناه عن الحجامة فلم يزل فارغا مكتفيا » .

---

(٢٦٠) البيت لأبى العتاهية فى المستطرف (١٢٨/٢) .

(٢٦١) **الحجامة** : امتصاص الدم بالمحجم ، والمحجم : القارورة التى يجمع فيها دم الحجامة والحجّام : محترف الحجامة .

[الوسيط (١٥٨/١)] .

(٢٦٢) **النسيئة** : البيع إلى أجل معلوم من غير تقابض ، ومنه ربا النسيئة ويقال : باعه بنسيئة : بتأخير .

[الوسيط (٩١٦/٢)] .

(٢٦٣) من ملوك الفرس .

[قال ابن بسام :][*]

دارُ أبى العباسِ مفروشـــةٌ ما شئتَ من بسط وأسماط
لكنما بعـــدك من خبـــزه كبعد بلخ من سميساطِ[٢٦٤]
مطبخـــهُ قفـــرٌ وطباخـــه أفرغ من حَجَّـام سابــاطِ

[وكان] ابن الرومى : « إذا ذكر أبا حفص الوراق سماه وراق ساباط لفراغه »[**] « اخلع على ساعة من ساعاتك أى تفرغ لى » .

وعن أنس - رضى الله عنه - رفعه : « أشد الناس حسابا يوم القيامة المكفى والفارغ » .

وقال قدامة بن جعفر : كنت مروياً فى أمر آتيه أم أذره فأنشدت فى المنام:

فلا تكن النفس التى نيط[٢٦٥] أمرها بنفسين نفسى سايق وعروب

وقال غيره :

كأن الفراغ إلى سلامك قادنى .فلربما طلب الفضول الفارغ

(*) وردت الأبيات فى « ثمار القلوب » (ص/٢٣٥) .

(٢٦٤) **بَلْخُ** : مدينة مشهورة من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ، وقيل إن أول من بناها الإسكندر وكانت تسمى الإسكندرية قديما .

[معجم البلدان (٤٧٩/١)] .

سُمَيْساط : بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة : مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم على غرب الفرات ولها قلعة فى شق منها . [معجم البلدان (٢٥٨/٣)] .

(**) ورد الخبر فى ثمار القلوب (ص ٢٣٥) ، وذكر الثعالبى بيتاً لابن الرومى يقول :

دعنى وإيّا أبا حفصٍ سأتركه حجّام ساباط بل ورّاق ساباط

(٢٦٥) **نيط** : تعلق بغيره .

[مـاورد فى النســيان]

« قولك فى أذنى قرط[٢٦٦] : أى لأنساه أظنك نسيتنى وللنسيان نسوان ، وللذكر ذكران ، لو غابت عنك العافية لنسيتها » .

وعن جابر بن عبدالله : « خمسٌ يورثن النسيان : أكل التفاح ، وسؤر الفأر ، والحجامة فى النقرة[٢٦٧] ، ونبذ القمل حيا ، والبول فى الماء الراكد » .

وعن على – كرم الله وجهه – : « عشر يورثن النسيان : كثرة الهم ، والحجامة فى النقرة ، والبول فى الماء الراكد ، وأكل التفاح الحامض ، وأكل الكزبرة الخضراء ، وأكل سؤر الفأر ، وقراءة ألواح القبور ، والنظر إلى المصلوب ، والمشى بين الجملين ، وإلقاء القمل حيا » .

وفى نوابغ الكلم : « يا إنسان عادتك النسيان ، أذكرُ الناس ناسٍ ، وأرق القلوب قاسٍ ، فلان تعل القلوب والفؤاد غير نسَّاءِ الأحقاد » .

قـال المعتز :

وما أملُّ حبيبى ليتنى أبـداً   مع الحبيبِ وياليت الحبيب معى

وقال العباس بن الأحنف :

لو كنتُ أعاتبه لسكن عبرتى   أملى رضاك وزرت غير مراقبِ
لكن مللت فلم يكن لى حيلة   صد الملول خلافُ صد العاتبِ

العرب تقول : « إنك لذو ملة طرف » ، أى تتخذ حبيباً ثم تملهُ وتستظرف آخر .

هذا أمر يضيق به فضولك ، وتسقط منه كسفا سماؤك » .

---

(٢٦٦) **القرط** : مايعلّق فى شحمة الأذن من در أو ذهب أو فضة أو نحوها .

(٢٦٧) **النقرة** : شدة الحرّ .

« كان رجلٌ يُسمى أسماء غلمانه ثم ينساهم ، فقال : اشتروا لى غلاماً يكون له اسم مشهور لا أنساه فاشتروا له غلاماً اسمه واقد ، فقال : هذا الاسم لا أنساه ، اجلس يا فرقد » .

وقال بعضهم :

أتناسيتَ أم نسيتَ إخائى   والتناسى شرٌّ من النسيانِ

قالت العرب : « عقرة العلم النسيان » ، « قيل لرجل من عبد القيس فى مرضه : أوصنا قال : أنذركم سوف »

البـاب السادس : فى العفاف والورع والعصمة ، وذكر الحلال والحرام ، ومن يخرج وتنزه من الرجال والنسـاء

عن عطية السعدى قال : قال رسول الله ﷺ : « لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى ما يدع مالا بأس به حذر مما به بأس »(٢٦٨) .

وعن أبى بكر – رضى الله عنه : « أنا منذ وليتُ أمر المؤمنين ما أخذت لهم درهما ولا دينار ولكن قد أكلتُ من جريش(٢٦٩) طعامهم ، ولبستُ من خشن ثيابهم ، وليس عندنا من [فيّهم](٢٧٠) إلا هذا الناضح(٢٧١) ، وهذا العبد الحبشى ، وهذه القطيفة ، فإذا قبضتُ فادفعوها إلى عمر ، فلما قبض أرسلوها إليه فبكى حتى سالت دموعه ، ثم قال : رحم الله أبا بكر ، لقد أتعب من بعده » .

وقال على – كرم الله وجهه – : « العفاف زينة الفقر » .

وقال داود – عليه السلام – لبنى إسرائيل: «لايدخل أجوافكم إلا طيب ، ولايخرج من أفواهكم إلا طيب ، إن أحببتَ أن تعلمَ علم اليقين فاجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد » .

---

(٢٦٨) **حديث ضعيف** : أخرجه الترمذى (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) والحاكم (٣١٩/٤) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣٣٥/٢) ، وعبد بن حميد فى المنتخب (٤٨٤) ، والطبرانى فى المعجم الكبير (١٦٩/١٧) .

وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه (٩٢٤) ، وفى غاية المرام ح(١٧٨) .

(٢٦٩) **الجريش** : المجروش من الحبوب وغيرها .

(٢٧٠) **فيّهم** : فيئهم بتخفيف الهمز ، والفَيْءُ . الخراج أو الغنيمة تنال بلا قتال . [الوسيط (٧٠٧/٢)] .

(٢٧١) **الناضح** : الدابة يُستقى عليها وهى ناضحة ، والجمع نواضح . [الوسيط (٩٢٨/٢)] .

وقال سليمان – عليه السلام – : « إن الغالب لهواه أشدّ من الذى يفتح المدينة وحده » .

« حلقت قرشية شعرها وكانت أحسن الناس وجها وشَعْراً ، فقيل لها فى ذلك فقالت : « أردت أن أفتح الباب فلمحنى رجلٌ ورأسى مكشوف فما كنتُ لأدعَ شعراً رآه من ليس بمَحْرَم » .(٢٧٢)

وقال بعض بنى كلب :

إن أكن طامح اللحاظ فإنى ... والذى يملك الفؤادَ عفيفُ(٢٧٣)

وقال غيره :

فقالتْ بحق الله ألا أتيتنـــا ... إذا كان لون الليل شبه الطيالس(٢٧٤)

فجئت وما فى القوم يقظانٌ غيرها ... وقد نام عنها كل واشٍ وحارسٍ

فبتنا بليــلٍ طيب نستــلذُّهُ ... جميعاً ولم أقلب لها كفَّ لامسٍ(٢٧٥)

---

(٢٧٢) اعلم أخى المسلم أن هذا من أمور التكلف فى الدين ، فلقد عالج القرآن الكريم تلك القضية بفرض الحجاب على المرأة المسلمة حتى لاتنكشف عورتها على من ليس بمحرم ، ولم يفرض عليها حلق شعرها ، وإنما سيق الخبر للترهيب من أمور التكشف والسفور الذى أضحى سمة بارزة من سمات عالمنا المعاصر ، وتردت كثير من النساء على إثره فى مهاوى الخطرات ، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم الله فنسأله العصمة فهو المستعان وعليه التكلان .

(٢٧٣) البيت فى المستطرف (٣٤٩/٢) .

(٢٧٤) **الطيالس** : جمع طيلسان وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خالٍ عن التفصيل والخياطة أو هو مايعرف فى العامية المصرية (بالشال) . [الوسيط (٥٦١/٢)] .

(٢٧٥) الأبيات فى المستطرف (٣٤٩/٢) .

« الحلال يقطر ، والحرام يسيل » .

« لقى مخنث آخر وقد تاب فقال له : من أين معاشك ؟ فقال : بقيت لى بقية من الكسب القديم ، فقال : إذا كانت نفقتك من ذلك الكسب فلحم الخنزير طرياً خير من قديد »[٢٧٦] .

[غض البصر]

« نزل خارجى على أخ له مستتراً من الحجاج فخرج صاحب المنزل لبعض حاجاته وقال لامرأته : يازرقا أوصيكى بضيفى هذا خيراً فلما عادِ بعد شهر فقال لها : كيف ضيفنا ؟ قالت : ماأشغله بالعمى عن كل شىء ، وكان الضيف يطبق عينيه فلم ينظر إلى المرأة إلى أن عاد زوجها »[٢٧٧] .

وقيل : مرت امرأة من بنى نمير فقال رجل منهم : هى رسحاء[٢٧٨] ، فقالت : يابنى نمير ما أطعتم الله تعالى ، ولا أطعتم قول الشاعر ، قال الله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾[٢٧٩] ، وقال الشاعر :

---

(٢٧٦) **القديد** : من اللحم ماقطع طولاً ومُلِّح وجُفِّف فى الهواء والشمس . [الوسيط (٧١٨/٢)] .

ومراده : إذا كنت لم تبرح تأكل من الحرام فلِمَ حرمت نفسك من اللذة الحاضرة ؟! وهذا بلاشك توبيخ وتقريع .. إذ أنه زعم التوبة فمن الواجب عليه إذن أن يهجر الحرام ويجتنب سبله .

(٢٧٧) الخبر فى المستطرف (٣٤٩/٢) .

(٢٧٨) **الرسحاء** : المرأة الخفيفة العَجُز . [الوسيط (٣٤٣/١)] .

(٢٧٩) سورة النور الآية : ٣٠ .

فَغُضّ الطَرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ (٢٨٠)

وقال عبدالرحمن بن الحكم بن العاص :

هيفاءُ فيها إذا استقبلتها عجف(*) عجزاءُ غامضة الكعبين معطارُ
من الأوانس مثل الشمس لم يرها بساحةِ الدارِ لا بعلٌ ولا جـارُ

[عفـة عمر بن أبى ربيعـة]

لم يذهب على أحد من الرواة أن **عمر بن أبى ربيعة** (٢٨١) كان عفيفاً ، يصف ويقف ويحوم ولايرد » (٢٨٢) .

قيل للحسن : « إن عند فلان عشرة آلاف ، قال : ما أحسبها اجتمعت من حلال » .

وقيل له : « إن فلانا مات وترك مائة ألف ، قال : إذاً لا يتركه » .

---

(٢٨٠) **نُمَيْر** : قبيلة من قيس منسوبة لنُمَيْر بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن .

وهو صدر بيت عجزه :

[فلا كعبًا بلغت ولا كلابا]

والبيت لجرير الشاعر ، وهو أميز بيت فى الهجاء ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان (٣٢١/١) .

(*) عَجَفٌ : أى هُزَال ، ومنه قوله تعالى ﴿يأكلهن سبع عجاف﴾ أى الهَزْلَى التى لالحم عليها .

(٢٨١) **عمر بن أبى ربيعة** : (٢٣هـ - ٩٣هـ) .

هو عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى القرشى أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق ، ولم يكن فى قريش أشعر منه ، وكان كثير التشبيب بالنساء ، ولما بلغ عمر بن عبدالعزيز أنه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن نفاه إلى « دهلك » ثم غزا فى البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات فيها غرقا .

[الأعلام (٥٢/٥)] .

(٨٢) انظر المستطرف (٣٥٠/٢) .

[التورع عن أكل الحرام]

وعن زاهد : « إنى لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة ما صفى لى درهما » .

« لا تُعود نفسك الشبع من الحلال فتأكل الحرام » .

« سقط من يد كهمس بن الحسن[٢٨٣] الحنفى ديناراً فطلبوه حتى وجدوه فأبى أن يأخذه وقال : لعله ليس بدينارى » .

وقال ابن سيرين : « ما غشيتُ امرأة قط فى يقظة ولا نوم غير أم عبدالله[٢٨٤] ، وإنى لأرى المرأة فى المنام فأعلم أنها لا تحل لى فأصرف بصرى عنها » .

قال بعضهم :

« ليت عقلى فى اليقظة كعقل ابن سيرين فى المنام »

وإنى لعفٌّ عن فكاهةِ جارتى	وإنى لمشنوءٌ إلىَّ اغتيابُها[٢٨٥]
إذا غاب عنها بعلُها لم أكن لها	[زوراً][٢٨٦] ولم تأنس إلىَّ كلابها
ولم أك [طالباً][٢٨٧] أحاديثَ سرها	ولا عالماً من أى حَوْكٍ ثيابها[٢٨٨]

---

(٢٨٣) هو كَهمس بن الحسن التيمى ، أبوالحسن البصرى ، ثقة عابد من الطبقة الخامسة ، مات سنة ٤٩هـ .

التقريب لابن حجر (١٣٧/٢) .

(٢٨٤) يقصد زوجته .

(٢٨٥) المشنوء : من الشنآن : أى البغض .

(٢٨٦) كذا بالأصل والصواب [زءوراً] الذى يكثر الزيارة .

(٢٨٧) فى عيون الأخبار [طلّاباً] .

(٢٨٨) وردت الأبيات فى عيون الأخبار لابن قتيبة (٢٠٥/٣) منسوبة لبشار بن بشر .

« تذاكروا أشد الأعمال فى مجلس يونس بن عبيد فاتفقوا على أنه الورع ، فجاء حسان بن أبى سنان وقال : إن للصلاة لمؤنة ، وإن للصوم لمؤنة ، وما هو أهون الورع ، إذا رابك[289] شيء فاتركه » .

« ومن ورع حسان ، أن غلاماً له كتب إليه من الأهواز أن قصب السكر أصابته آفة فاشترها ففعل ، فطلب منه بعد قليل بربح ثلاثين ألفا ، فاستقال صاحب البيع وقال : لم تعلم ما كنتُ أعلم حين اشتريت ، فقال : قد أعلمتنى الآن وقد طيبتك ، فلم يطمئن قلبه ، ولم يزل حتى رده عليه » .

وقال محمود بن الوراق :

لا تُشعرنَّ قلبكَ حب الغنى ... إن من العصمةِ أن لا تجدْ
كم مدمن خمر وغاد على ... لهو وغنــــاء وغـــردْ
لو لم يجد خمراً ولا مسمعاً ... بَرّدَ بالماء غليــلَ الكبـــدْ

[التورع عن أكل مال الناس]

وقال ابن المبارك : « أراد أبوحنيفة – رضى الله عنه – أن يشترى جارية فمكث يختار ويشاور من أى شيء يشتريها .

« اختلطت غنم الغاره بغنم أهل الكوفة فسأل أبوحنيفة : كم تعيش الشاة ؟ قالوا : سبع سنين ، فترك أكل الغنم سبع سنين » .

« وحملت إليه بدرة[290] من عند المنصور فرمى بها فى زاوية البيت فلما توفى جاءبها ولده حماد إلى الحسن بن قحطبة وقال : أوصانى أبى برد هذه

---

(289) من الريبة والشك .

(290) البَدْرة : كيس فيه مقدار من المال يُتعامل به ، ويُقدم فى العطايا ، ويختلف باختلاف العهود .

[الوسيط (43/1)] .

الوديعة إليك ، فقال : رحم الله أباك لقد شح عليه دينه إذ شحت به أنفس أقوام » .

[التعــفف والتواضــع]

وقال الثورى : « انظر إلى درهمك من أين هو ، وصلِّ فى الصف الآخر »[٢٩١] .

كان عمر – رضى الله عنه – يتمثل بهذا البيت :

حلالها حسرةٌ تفضى إلى ندم   وفى المحارم منها السُّم مدرور[٢٩٢]

[الــــورع]

وعن جابر : سمعت النبى ﷺ يقول لكعب بن عجرة : « لايدخل الجنة من نبت لحمه من سحتٍ ، النار أولى به »[٢٩٣] .

---

(٢٩١) ورد هذا الأثر فى « حلية الأولياء » لأبى نعيم (٦٨/٧) ، مع استبدال كلمة [الآخر] هنا بالأخير .

(٢٩٢) **المدرور** : شبيه بالمدرار : وهو الكثير الدّرّ ، يقال : سحاب مدرار : كثير السَّحّ ، وعين مدرار : كثير الدمع .

[الوسيط (٢٧٩/١)] .

(٢٩٣) **حديث صحيح بشواهده** : أخرجه الترمذى (٦٠٩) ، (٦١٠) ، والطبرانى (١٠٥/١٤ ، ١٤١) فى الكبير وله شاهد .

أخرجه عبدالرزاق (٢٠٧١٩) من حديث جابر ومن طريقه أحمد (٣٢١/٣ ، ٣٩٩) وابن حبان (١٥٦٩–موارد) ، والبزار (١٦٠٩ – كشف) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٢٤٧/٥) ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح . ورواه الحاكم (٤٢٢/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ورواه الطبرانى فى الصغير (٢٢٤/١–٢٢٥) .

وقال أبوبكر – رضى الله عنه : « إن الله حرم الجنة أن يدخلها جسد غذى بحرام » .

وعن أبى هريرة رفعه : « يأتى على الناس زمان لايسألون من حلال كسبوا أم من حرام »(٢٩٤) .

وعن حذيفة رفعه : « إن قوماً يجيئون يوم القيامة ولهم من الحسنات أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً ثم يؤمر بهم إلى النار » فقال سلمان : صفهم لنا يارسول الله ، فقال : « أما إنهم كانوا يصلون ويصومون ، ويأخذون أهبة من الليل ، ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه »(٢٩٥) .

قال أيمن بن خريم :

فقلت اصطبحها أو لغيرى أهدها ... فما أنا بعد الشيب مغرمٌ بالخمر
تعففتُ عنها بالسنين التى خلت ... فكيف التصابى بعدما كلأ(٢٩٦) العمر

وقال أبوسليمان الدارانى(٢٩٧) : « من صدق فى ترك الشهوة كُفى مؤنتها ، الله أكرم من أن يعذب قلبه بها وقد تركها له »(٢٩٨) .

---

(٢٩٤) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى بنحوه من حديث أبى هريرة (٣/٧١) ، والنسائى (٧/٢٤٣) ، وأبونعيم فى الحلية (٧/٩٣) والبخارى فى التاريخ الكبير (٢/١/١٨١) .

(٢٩٥) **حديث صحيح** : رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) ، وصححه حافظ الوقت الشيخ ناصر الدين الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٢٣) . وفى السلسلة الصحيحة برقم (٥٠٥) .

(٢٩٦) أى تقدم بى العمر وأصبحت شيخًا كبيرا .

(٢٩٧) هو عبدالرحمن بن عطية ، ويقال : عبدالرحمن بن أحمد بن عطية وهو من أهل « داريًا » قرية من قرى دمشق . مات سنة ٢١٥هـ .

(٢٩٨) ورد هذا الأثر فى كتاب « طبقات الصوفية » لأبى عبدالرحمن السلمى . تحقيق نور الدين شريبة (ص/٧٧) .

مر أبوسليمان الخواص بإبراهيم بن أدهم وهو عند قوم أضافوه فقال : « يا أبا إسحاق ، نعم الشيء هذا إن لم تكن تكرمة على الدين » .

وقال مروان بن معاوية : « ما من أحد إلا وقد أكل بدينه حتى سفيان الثورى ، وكان له أخ يعمل ببضاعته وهو جالس ، ولولا دينه ما فعل به ذلك » .

وقيل : « ملك اللذات أن تتعبدنه وهو بماله متبرع ، وهو من مال عشيرته متورع ، لم يتدنس بحطام ، ولم يتلبس بآثام ، عف السريرة غيبهُ كالمشهد » .

قالت امرأة لرجل أكثر تأملها : « عبر عينك وشى غيرك » .

وقال أبو أمامة الباهلى : « لما بعث الله محمداً ﷺ أتت إبليسَ جنودُه وقالوا : قد بعث محمد وخرجت أمته ، قال : أفيحبون الدنيا ؟ قالوا : نعم ، قال : إن كانوا يحبون الدنيا فإنى لا أبالى أن يعبدوا الأوثان ، إنما أغدو عليهم وأروح لهم بثلاث : أخذ المال من غير حله ، وإنفاقه فى غيره حقه ، وإمساكه عن حقه ، والشرك تابع لهذا » .

وقال حكيم عن النزاهة : « أحب إلىّ من فرع الفائدة ، والصبر على العسرة أحب علىّ من احتمال المنة » .

قيل لابن المسيب : « العن الحجاج قال : ويأخذ الحجاج مظلمته منى حسبة ذنبه » .

[الهوى العذرى]

[دخلت بثينة على عبدالملك بن مروان فقال: يابثينة ، ما أرى [فيك] شيئا مما كان يقوله جميل ؟ فقالت : ياأمير المؤمنين ، إنه كان يرنو إلىّ بعينين ليستا فى رأسك ، قال : فكيف صادفته فى عفته ، قالت كما وصف نفسه بقوله :

لا والذى تسجد [الحياة][299] له ما لى بما تحت [ثوبها][300] خبر

(٢٩٩) فى المستطرف [الجباه] .

(٣٠٠) فى المستطرف [ذيلها] .

ولا بفيها ولا هممتُ بها ما كان إلا الحديث و[الخبر][٣٠١]

وعن أبي سهل الساعدى : « دخلتُ على جميل وبوجهه آثار الموت ، فقال لى : يا أبا سهل ، إن رجلاً يلقى الله ولم يسفك دما حرام ، ولم يشرب خمرة ، ولم يأت فاحشة أترجو له الجنة ؟ قلت : أى والله فمن هو ؟ قال : إنى لأرجو الله أن أكون ذلك ، فذكرت له بثينة فقال : إنى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ، لا نالتنى شفاعة محمد إن كنت [حديث][٣٠٢] نفسى بريبة قط »[٣٠٣] .

وقال عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله ﷺ إنه دعته بغى إلى نفسها وكانت حسنة وأرادت أن تخدع عبدالله رجاء أن يكون رسول الله ﷺ [منها] للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال :

أما الحرام فالحِمام دونه والحلُّ [لا أحل فأستبينه][٣٠٤]
فكيف بالأمر الذى تبغينه يحمى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر :

وأحور مخضوب البنان محجّب دعانى فلم أعرف إلى ما دعا وجهًا
بخلتُ بنفسى عن مقامٍ يشينُها فلست مريداً ذاك طوعًا ولا كرها[٣٠٥]

وقال الحسن : « لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقته ، ثم دققته ، ثم ذريته ، ثم داويت به المرضى » .

---

(٣٠١) فى المستطرف [النظر] انظر : المستطرف (٢/٣٥٠) .
(٣٠٢) كذا بالأصل والصواب [حدثت] .
(٣٠٣) الخبر فى المستطرف (٢/٣٥٠) .
(٣٠٤) فى المستطرف [لا تأبى ونستدينه] .
(٣٠٥) ورد البيتان فى المستطرف (٢/٣٥٠) .

وقيل : « عدمت أم أبى ذر – رضى الله عنه – ما تكفنه به فبكت(٣٠٦) فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض وبآبائهم فقال: أنشدكم الله أن [لايكفننى رجل منكم كان] عريفاً أو أميراً أو شرطيا وبآبائهم فقال : أنشدكم الله أن لايكفننى رجل منكم كان عريفاً أو أميراً أو شرطيا أو نقيباً فكفنه فتى من الأنصار بثوبين من غزل أمه » .

راود [ثوبة الحميرى](٣٠٧) ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت :

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحب [لايتغينا بخونة](٣٠٨) ... وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

وقال ابن ميادة :

موانع لايعطين حبّة خـردلٍ ... وهنّ دوانٍ فى الحديث أوانسُ
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبةً ... كما كرهت صوت اللجام الشوامس(٣٠٩)

وقال رجل للثورى : « أصاب ثوبى خلوق من خلوق الكعبة فقال : اغسله فكم من دم مسلم » .

---

(٣٠٦) كذا وردت بالأصل ولعله سهو من الناسخ والقصة كما أوردها ابن عبدالبر فى الاستيعاب . ترجمة (٣٤٠) سنوردها – إن شاء الله تعالى – حتى يتبين السقط :

« عن أم ذر زوجة أبى ذر ، قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت ، فقال لى : مايبكيك ؟ فقلت : وما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ، وليس عندى ثوب يسعك كفنًا لى ولا لك ؟ ولا يَدَ لى للقيام بجهازك ، فقال : أبشرى ولا تبكى ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً وقد مات لنا ثلاثة من الولد ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم ... » إلى آخر القصة كما أوردها المصنف مع اختلاف يسير .

(٣٠٧) وردت بالمستطرف [شاب] .

(٣٠٨) بالمستطرف [لاينبغى أن نخونه] والبيتان فى المستطرف (٣٥٠/٢) .

(٣٠٩) **الشوامس** : النوافر من المطى ، والبيتان فى المستطرف (٣٥١/٢) .

وقال فضيل فى ابنه على « كانت لنا شاة أكلت شيئا يسيراً من علف الأمراء فما شرب من لبنها بعد » .

وقال إبراهيم بن أدهم : « أنا بالشام من أربعة وعشرين سنة ما جئت لجهاد ولا رباط ولكن لأشبع من خبز حلال » .

وقال عمرو بن العاص : « لئن كان أبوبكر وعمر تركا هذا المال وهما يريان أنه يحل لهما لقد غبنا ونقص رأيهما ، والله ما كانا مغبونين ولا ناقصى الرأى ، ولئن كان ما أصبنا منه يحرم علينا لقد هلكنا ، وأيم الله ما أتى الوهم والوهن إلا من قِبَلَنا » .

عبدالله بن الحسن بن الحسين قال :

[أُنُسٌ غَرائِرُ] [٣١٠] ما هممنا بريبةٍ كظباء مكة صيدهنَّ حرامُ
يُحسبن من لين الكلام فواسقاً ويصدّهن عن الخنا[٣١١] الإسلامُ

كان الأصمعى يستحسن بيتى العباس بن الأحنف :

أتأذنون لصب فى زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
[لايضمرالسوء][٣١٢] إن طال الجلوس به عَفُّ الضمير ولكن فاسْقُ النظر

كان ابن المولى المدنى متواضعاً بالعفة وطيب الإزار ، فأنشد عبدالملك بن مروان وهو متنكب قوسه يقول :

وأبكى فلا ليلى بكت من صبابة ليالٍ ولا ليلى لدى العود تبذل
وأخنع بالعتبى إذا كنتُ مذنباً وإن أذنبتُ كنتُ الذى أتنصل

فقال له : من ليلى هذه ، إن كانت حرة لأزوجنكما ، وإن كانت مملوكة لاشتريتها لك بالغة مابلغت ، فقال : كلا ياأمير المؤمنين ما كنت لأمعن بوجه حر

(٣١٠) فى المستطرف [حور حرائر] .

(٣١١) الخنى : الفحش ، والبيتان فى المستطرف (٣٥١/٢) .

(٣١٢) فى المستطرف [لايظهر الشوق] .

أبداً فى حرة ، ولا فى أمة ، ووالله ماليلى إلا قومى هذه سميتها ليلى فأنا أتشبب بها » .

وقال معدى بن الملوح العبدى :

كأن على أنيابها الخمر شابها بماء الندى من آخر الليل عائق
وما ذقته إلا بعينى تفرساً كما شيم فى أعلا السحابة بارق

قالت عائشة – رضى الله عنها – يارسول الله ، من المؤمن ؟ قال : « المؤمن من إذا أصبح نظر إلى رغيفه من أين يكسبها ، قالت : يارسول الله أما إنه لو كلفوه ولكنهم يعسفون الدنيا عسفاً »[٣١٣] .

وقيل : « اختفى إبراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية اسمها ملك [وكانت] واحدة زمانها فى الحسن والأدب ، طلبت منها بخمسمائة ألف [درهم فهويها] وترنم أن يطلبها إليها فغنى يوماً وهى عنده يقول :

يا غـزالاً لى إليـه شافـع [مـن] مقتليـه
والـذى أجللـت خـد يـه فقبلـت يديـه
بأبى حسنـك ما أكثر حُسَّادى عليـه
أنا ضيـف وجـزاء الـ ضيـف إحسـان إليـه

ففطنت الجارية فحكت لموتها فقالت : اذهبى إليه فأعلميه أنى قد وهبتك إليه فعادت الجارية إليه فلما رآها أعاد الغناء فنكبت عليه فقال لها : كفى فلست بخائن فقالت : قد وهبتنى مولاتى لك وأنا الرسول فقال : « أما الآن فنعم »[٣١٤] .

---

(٣١٣) **حديث ضعيف** . تفرد به الديلمى كما فى الفردوس (٦٥٧٥) .

(٣١٤) ورد هذا الخبر فى المستطرف (٣٥١/٢) وما بين المعكفات استدركناه منه .

وأنشد المبرد يقول :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا نهاني الحياءُ والكرمُ
فلا إلى [مُحرم][315] مددتُ يدى ولا مشتْ بى [لريبة][316] قدمُ

وقيل : «[أراد] عمر بن عبدالعزيز رجلا[317] لمصحفه فأتى برجل أعجبه فقال : من أين أصبتموه ؟ فقيل : عُمل من خشبة وجدت فى بعض الجزائر ، فقال : قوّموه فى السوق فقُوم بنصف دينار فقال : ضعوا فى بيت المال دينارين » .

وقال عيسى – عليه السلام – : « لا تكونن حديد النظر[318] إلى ما ليس لك فإنه لن يزنى طرفك ما حفظت عينك ، فإن استطعت أن لاتنظر إلى ثوب المرأة التى لا تحل لك فافعل ولن تستطيع ذلك إلا بإذن الله تعالى » .

(315) فى المستطرف [فاحش] .

(316) فى المستطرف [لزلةٍ] .

(317) رِجلاً : بكسر الراء أى حاملاً .

(318) أى شديد النظر كثيره .

الباب السابع : فى التعجب ، وذكر العجائب ، والنوادر ، وما خرج من العادات

[التعجب]

قال على بن ربيعة : « شهدت عليا – رضى الله عنه – أُتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال ﴿ الحمد لله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ، ثم قال : الحمد لله ، والله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال : سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك ، فقلت : ياأمير المؤمنين ، من أى شيء تضحك ؟ قال : رأيت النبى ﷺ فعل ما فعلت أنا ثم ضحك ، فقلت : يارسول الله ، من أى شيء تضحك فقال : إن ربك يتعجب من عبده إذا قال : اغفر لى ذنوبى وهو يعلم أنه لايغفر الذنوب غيرى »(٣١٩) .

وعنه ﷺ : « تعجب ربكم من شاب ليس له صبوة »(٣٢٠) .

وعنه : « عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل وهم كارهون »(٣٢١) .

---

(٣١٩) **حديثٌ صحيحٌ** : أخرجه أحمد (٩٧/١ ، ١١٥ ، ١٢٨) ، وأبوداود (٢٦٠٢) ، والترمذى (٣٥١١) ، وعبدالرزاق (٢٠٣١٠) فى المصنف ، والحاكم (٩٨/٢–٩٩) ، وابن السنى (٤٩٠) ، (٤٩٣) فى عمل اليوم والليلة ، والبيهقى (٣٧٦/٣) فى سننه الكبرى ، وفى الباب عن ابن عمر .

(٣٢٠) **حديث ضعيفٌ** : أخرجه أحمد (١٥١/٤) ، والطبرانى (٣٠٩/١٧) فى الكبير وابن عدى (١٤٦٥/٤) ، (١٤٦٦/٤) فى الكامل .

وانظر : الفوائد المجموعة (٢٥١) للشوكانى ، وكشف الخفاء (٥٤٦/٢) للعجلونى .

(٣٢١) **حديث صحيحٌ** : أخرجه البخارى (٧٣/٤) ، وأحمد (٣٠٢/٢ ، ٤٤٨) ، وأبو داود (٢٦٧٧) ، وابن حبان (٦٤٣) ، والبغوى (٧٦/١١) فى شرح السنة .

وقال على – كرم الله وجهه – : « عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذى هرب ويفوته الغني الذى إياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء ، وعجبت للمتكبر الذى كان بالأمس نطفة ويكون غدا جيفة ، وعجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى من يموت ، وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء » .

وقال قعنب بن أم الصاحب :

لو كنت أعجبُ من شيءٍ فأعجبنى سعى الفتى وهو مجبول إلى القدرِ

وقيل : « فيه نظر العجب به لا العجب منه ، وذكرت قول أرسطاليس للإسكندر : أما التعجب من مناقبك فقد أسقطه تواترها فصارت كالشيء المألوف الذى لايتعجب منه » .

قيل لبحار : « ما رأيت من عجائب البحر ؟ قال : سلامتى منه » .

« ركب أعرابى البحر فرأى من أمواجه الأهوال ، ثم ركبه مرة أخرى وهو ساكن فقال : لايغرنى حلمك فعندى من جهلك العجائب » .

وقيل : « أسمع المعتز عبيدالله بن عبدالله بن طاهر غناء حظية له وقال : كيف تراها ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، حظ العجب منها أكثر من حظ العجب بها » .

قيل لبزرجمهر : « من أعلم الناس بالدنيا ؟ قال : أقلهم منها عجبا » .

وعنه : « العجب ممن يعرف ربه ثم يغفل عنه طرفة عين » .

يقال للمشعوذ « أبوالعجب » .

قال أبوتـمام :

وحادثاتُ أعاجيب [خساً] [وزكاً] ما الدهر فى [فعله] إلا أبوالعجب(*)

وقال ابن الرومى فى البحترى :

أولى بمن عظمتْ فى الناسِ لحيته من حاكة الدهر أن يدعى أبا العجب
الجد أعمى ولولا ذاك لم تره فى البحترى بلا عقل ولا أدب

« لو قيل أى شيء أعجب عندك لقلت : قلب عرف الله ثم عصى » .

[عجـائب بابـل]

كان ببابل سبع مدائن فى كل مدينة أعجوبة .

فى أحدها : تمثال الأرض ، فإذا التوى على الملك بعض أهل مملكته بخراجهم خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلايطيقون سداً حتى يعتدلوا وما لم يسد فى التمثال لم يسد فى ذلك البلد .

وفى الثانية : حوض إذا أراد الملك أن يجمعهم إلى طعامه أتى كل واحد بما أحب من شراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الأشربة وكل من سقى منه كان شرابه الذى جاء به .

وفى الثالثة : طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب قرعوه ، فإن كان حيا صوت ، وإن كان ميتا لم يسمع له صوت .

وفى الرابعة : مرآة إذا أرادوا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه .

(*) ديوان أبى تمام : ٤٧٠ (بيروت) وذكره الثعالبى فى ثمار القلوب ، وما بين المعكفات استدركناه من ثمار القلوب (ص/٢٥٠) .

وفى الخامسة : أوزة من نحاس فإذا دخل غريب صوتت الأوزة صوتا يسمعه أهل المدينة .

وفى السادسة : قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضى ويرتطم المبطل .

وفى السابعة : شجرة ضخمة لاتظل إلا ساقها فإن جلس تحتها أظلته إلى ألف رجل ، فإن زاد عن الألف واحد جلسوا كلهم فى الشمس »[٣٢٢] .

وقال الخليل بن سليمان بن حبيب وأجاد :

وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت ... منها التعجب جاءت من سليمانا
لاتعجبن لخير زل عن يده ... فالكوكب النحس يسقى الأرض أحيانا

« وَرَدَ على قلبى منه ما طبقه عجبا ولم يطبقه سحبا . الدهر فيه لمن تعجب عبرة » .

[عجـــائب الـظبى]

وعجائب الظبى يخصم(*) الحنظل خصما(**) ويمضغه مضغا ، وماؤه يسيل من شدقيه ، ويتبين فيه الاستلذاذ له والحلاوة لطعمه ، ويرد البحر(***) فيشرب الماء الأجاج [ويغمس خرطومه فيه] كما تغمس الشاة [لحييها] فى الماء العذب ، فأى شىء أعجب من حيوان يستعذب [ملوحة] البحر ويستحلى مرارة الحنظل][٣٢٣] .

---

(٣٢٢) ورد الخبر فى المستطرف (٢/٢٨١-٢٨٢) .

(*) كذا بالأصل والصواب [يقضم] .

(**) كذا بالأصل والصواب [قَضْمًا] .

(***) بالمستطرف [الماء الملح] .

(٣٢٣) ورد الخبر بالمستطرف (٢/٢٥٣) ، مابين المعكفات استدركناه منه .

وعن عبدالرحمن بن عدى : سمعتُ أبا هريرة – رضى الله عنه – يقول : « ضرس الكافر مثل أحد ، فقلت فى نفسى : فكيف برأسه ؟ فكيف بيديه ؟ كالشاك(٣٢٤) فرأيت فى النوم من المقابلة أن بثرة(٣٢٥) خرجت فى خصرى فملأت المدينة ، فقيل لى : هذا الشاك فى قول أبى هريرة » .

وعن أبى مقبل : « كنت عند منبر رسول الله ﷺ فأتى مروان بن الحكم بحبال وفعلة يزيد أن يزيد فى درجات منبر رسول الله ﷺ وذلك بإمرة معاوية فزلزلت الأرض وكسفت الشمس وبدت النجوم واصطفت القناديل » .

[نبوءة دانيـال]

« كانت فى زمن بنى إسرائيل جارية متعبدة تسمى **سوس** ، وكانت تخرج إلى مصلى بليه شيخان ، وكان بجنبه بستان تتوضأ منه فعلقها الشيخان فراوداها عن نفسها فأبت فقالا : إن لم تمكنينا لشهدنا عليك بالزنا ، فقالت : الله كافى من شركما ، ففتحا باب البستان فقالا : وجدناها مع شاب يفجر بها وانفلت من أيدينا ، وكانوا يقيمون للزانى ثلاثة أيام ثم يرجم ، فأقاموها و كانايدنيان منها ويضعان يديهما على رأسها ويقولان : الحمد لله الذى أنزل عليك نقمته ، فلما أريد رجمها تبعهم **دانيال**(٣٢٦) وهو ابن اثنتى عشرة سنة أول ما تنبأ فقال : لا تعجلوا فإنى أقضى بينهم ، فوضع له كرسى ففرق بين الشيخين وهو أول يوم فرق بين الشهود فقال لأحدهما : ما رأيت فذكر حديث الشاب فقال : أى مكان

---

(٣٢٤) أى كأنه شك فى قول أبى هريرة .

(٣٢٥) تبثَّر جلدُه : بَثِر : أى ظهرت به نُفَّاخاتٌ مملوءة ماءً .

والبَثْر : خُراج صغار . [الوسط (٣٨/١)] .

(٣٢٦) نبى من أنبياء بنى إسرائيل دفن بمدينة (سوس) التى افتتحها أبو موسى الأشعرى فى عهد عمر بن الخطاب .

من البستان فقال : تحت شجرة الكمثرى ، وسأل الآخر فقال : تحت شجرة التفاح ، وسوس رافعة يديها تدعو بالخلاص فأنزل الله ناراً أحرقت الشاهدين وأظهر الله براءتها » .

[عجـائب اليمـن]

عن الشافعي – رحمة الله عليه – : « بينما أنا أدور فى طلب العلم فدخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنسانا وسطه إلى أسفله بدن امرأة ، ومن وسطه إلى فوق بدنان ذكران متفرقان بأربع أيادٍ ورأسين ووجهين ، فسألت عنه وهما يتقاتلان ويتلاطمان ، ويصطلحان ، ويأكلان ويشربان ، ثم غبت عنهما سنتين ورجعت ، فسألت عنهما فقيل لى : أحسن الله عزاك فى الجسد الواحد توفى فَربط من أسفله بحبل وثيق وترك حتى ذبل فقطع ، فلعهدى بالجسد الآخر فى السوق ذاهبا وجائيا » .

وقال : « رأيت باليمن أعميان يتقاتلان وأبكم يصلح بينهما » .

وقال : « رأيت باليمن قوم يشق أحدهم لحمه ثم يرده فيلتئم من ساعته » .

ويقال : « إن غذاء أولئك اللبن » .

وقال : « رأيت باليمن بنات سبع يحضن كثيراً » .

وقال : « رأيت بالمدينة ثلاث عجائب لم أر مثلها فى مواضع قط : رأيت رجلاً فلس فى مدٍّ من نوى فلسه القاضى ، ورأيت رجلاً له سن شيخ كبير يدور على بيوت القينات ماشياً يعلمهم الغناء ، فإذا حضرت الصلاة صلى قاعداً ، ورأيت رجلاً يكتب بشماله وهو يسبق من يكتب بيمينه » والله أعلم .

الباب الثامن : فى العشق وذكر من بلى به ، وقال فيه الشعر ، ومن مات منهم كمداً ، ومن رق لهم وترحم عليهم

قال النبى ﷺ : « من عشق وعف وكتم ثم مات مات شهيد »(٣٢٧) .

« لما عتقت عائشة – رضى الله عنها – جاريتها بريرة وكان زوجها حبشياً اسمه مغيث خُيرت بين الإقامة معه وبين مفارقته فاختارت المفارقة فكانت إذا طافت بالبيت طاف معها مغيث ودموعه تسيل ، فقال النبى ﷺ لعمه العباس : (يا عم ما ترى حب مغيث لبريرة لو كلمناها أن تتزوج به فدعاها فكلمها فقالت : يارسول الله ، إن أمرتنى فعلت ، فقال : أما أمر فلا ولكن أشفع) ، فأبت أن تتزوجه » .

قال الراوى : « فهذا ما قد رآه رسول الله ﷺ وشهد لشدة عشقه وشفع فيما به » ..

وقال يحيى بن معاذ الرازى : « لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا »(٣٢٨) .

وقال بعضهم : « رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية [الضر](٣٢٩) والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها : هل من حاجة ؟ فقالت : حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى هذا :

---

(٣٢٧) **حديث موضوع** : أخرجه الخطيب (٥/١٥٦ ، ٢٦٢) ، (٦/٥٠-٥١)، (١١/٢٩٨) ، (١٣/١٨٤) ، وابن الجوزى (٢/٢٨٦ ، ٢٨٥) فى العلل المتناهية ، وانظر : السلسلة الضعيفة (٤٠٩) .

(٣٢٨) الخبر فى المستطرف (٢/٣٤٨) .

(٣٢٩) فى المستطرف [الضعف] .

تزوَّدَ كلُّ الناسِ زاداً يقيهمُ   ومالىَ زاد والسلامُ على نفسى

فقلت : فإذا أنا بفتى منهوك فقال : أنا الزاد فمضيت به إليها فما زاد عن النظر والبكاء ، ثم قالت له : انصرف مصاحبا للسلامة، فقلت : ما علمت أن لقاءكما يقتصر على هذا ، فقالت : أمسك أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد »[٣٣٠] .

وقال إبراهيم بن محمد المهلبى الواسطى :

[اللــذة الحقيقيــة]

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعنى   منه الحياء وخوف الله والحذرُ
كم قد [بلغتُ][٣٣١] بمن أهوى فيقنعنى   منه الفكاهة [والتحديث][٣٣٢] والنظرُ
أهوى الملاحَ وأهوى أن أجالسهم   وليس لى فى حرام منهم وطرُ
كذلك الحبُ لا إتيان معصيةٍ   لا خير فى لـذةٍ من بعدها سقرُ

عن زبيدة : قرأت فى طريق مكة على حائط :

أما فى عباد الله أو فى إمائه   كريمٌ يجُلى الهم عن ذاهبِ العقلِ
له مقلـة أمـا الأمــاق قريحة   وأما الحشا فالنار فيه على رجلِ

فنذرت أن احتال لقائلها حتى أجمع بينه وبين من يهوى فإنى لبالمزدلفة إذ سمعت من ينشدها فأذنته فزعم أنه قائلها فى بنت عم له وقد نذر أهلها ألا يزوجوه بها فوجهت إلى الحى ومازلت أبذل لهم حتى زوجوه وإذا المرأة أعشق من الرجل وكانت زبيدة تعدها من أعظم حسناتها وتقول : ما أنا بشيء أسرُّ بجمعى بين ذلك الفتى والفتاة » .

---

(٣٣٠) وردت هذه القصة بالمستطرف (٢/٣٤٨-٣٤٩) .
(٣٣١) بالمستطرف [خلوت] .
(٣٣٢) بالمستطرف [والتأنيس] .

قيل : كان لسليمان بن عبدالملك غلام وجارية تحابا فكتب إليها يقول :

ولقد رأيت فى المنام كأنما عاطيتنى من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأنما بتنا جميعا فى فراش واحد
فقطعت يومى كلـه متراقـداً لأراك فى نومى ولست براقد

فأجابتـــه :

خيراً رأيت وكلمـا عاينتــــه ستناله مـنى برغـم الحاسدِ
إنى لأرجـو أن تكون معانقى فتبيت منى فوق ثدى ناهدِ
وأراك بين خلاخلى ودمالجى[٣٣٣] وأراك بين مراجلى ومجاسدى[٣٣٤]

فبلغ ذلك سليمان فأنكحهما وأحسن جهازهما » .

وقال الجاحظ : « العشق اسم لما فَضَل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود ،[*] والبخل اسم لما جاوز حد الاقتصاد » .

سُئل أفلاطون عن العشق فقال : « داء لايعرض إلا للفراغ ، العشق جهل عارض صادف قلب فارغ » .

قيل لأعرابى : « ما بلغ من حبك لفلانة ؟ قال : إنى لأذكرها وبينى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك »[**] .

---

(٣٣٣) **دمالجى** : الدمالج : الحلى التى توضع فى الساعدين .

(٣٣٤) وردت الأبيات بالمستطرف (٢/٣٣٦) هكذا :

خيرًا رأيت وكل ما أمّلته ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا مُلح الحديث بلا مخافة راصد

(*) الخبر فى المستطرف (٢/٣٤٥) .

(**) الخبر فى المستطرف (٢/٣٤٥) .

سأل الرشيد رجلاً : « ما أشد ما يكون من العشق ؟ قال : أن يكون ريح البصل منه أحب إليك من رائحة المسك من غيره » .

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر[٣٣٥]

رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ، ثم أتى مكة وفيها جميل فقيل : دونك شبيبا فاتيىء[٣٣٦] منه فقال :

وقالوا ياجميلُ أتى أخاها فقلتُ أتى الحبيبُ أخو الحبيب

كتبت جارية للمتوكل على جبهتها : « هذا ما عمل فى طراز فتنة لعباد الله » .

أنشد الأخفش :

مطارق الشوق منها فى الحشا أثر يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى فى الجسم موقدة ومبرد الحب لايبقى ولا يذر[٣٣٧]

وعبدالله بن عجلان النهدى أحد العشاق المذكورين « تزوجت عشيقته فرأى أثر كفها فى ثوب زوجها فمات كمدا » .

أهدى أبوالعتاهية للمهدى برنية فيها ثوب مطيب قد كتب فى حواشيه :

نفسى من الدنيا مقلعة الله والقائم المهدى يكفيها
إنى لآنس منها ثم يطمعنى فيها احتقارك بالدنيا وما فيها

---

(٣٣٥) هو صدر بيت من رائية عمر بن أبى ربيعة ، وعجزه :
« غَدَاةَ غَدٍ أم رائحٌ فَمُهَجِّرُ »

(٣٣٦) كذا بالأصل والصواب [فخذ بثأرك منه] .

(٣٣٧) **الكور** : منفخ من الجلد يستعمله الحداد ، والبيتان فى المستطرف (٣٤٦/٢) .

فهمّ بدفع عتبة إليه فضجرت وقالت : ياأمير المؤمنين ، بعد حرمتى وخدمتى أتدفعنى إلى رجل قبيح المنظر بائع حرار متكسب بالشعر فأعفاها وأمر أن تملأ البرنية مالاً فأرادوا أن يملؤوها دراهم فقال : إنما أمر بالدنانير فاختلف فى ذلك حولاً فقالت عتبة : لو كان عاشقا لم يختلف حولا فى التمييز بين الفضة والذهب ، وقد عنى صفحا » .

[العشـــق والنحـــول]

صحب جميل رجل من بنى عذرة يدعى العشق وهو سمين فقال :

وقد راعنى من زهدمٍ أن زهدماً   يشد على حبرى ويبكى على جمل
فلو كنتَ عذرى[٣٣٨] العلاقة لم تكن   سميناً وأنساك الهوى كثرة الأكل

قال محمد بن عبدالله بن طاهر لأولاده : عفوا تشرفوا ، واعشقوا تظرفوا .

[وقيل : أول] « العشق النظر ، وأول الحريق الشرر » .

« زار على بن عبيدة الريحانى جارية كان يهواها وعنده إخوانه فحان وقت الظهر فبادروا للصلاة وهما يتحادثان فأطالا حتى كادت الصلاة أن تفوت فقيل : يا أبا الحسن الصلاة ، فقالت : رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية »[٣٣٩] .

« وصف أعرابى امرأة فقال : مازال القمرين بينهما فلما غاب رأيتها ، قيل : فما كان بينهما ؟ قال : أبعد مما أحل الله مما حرم الله إشارة فى غير بأس ، ودنو فى غير مأسى ولا وجع أشد من الذنوب » .

---

(٣٣٨) **عذرى العلاقة** : أى عنيفاً فى حبك عفيفا فى سلوكك وعلاقتك ، والعرب تسمى « الحب العفيف » الحب العذرى نسبة إلى بنى عذرة الذين اشتهروا بذلك .

(٣٣٩) ورد الخبر فى المستطرف (٢/٣٤٨) .

وقال أبوالعيناء : أضحكنى بائع رمان يقول :

وقعت من فوق حبال الهوى ... إلى بحار الحب طرطب[٣٤٠]

عبد بنى الجساس[٣٤١] :

وكم قد شققنا من رداءٍ محبَّرٍ ... ومن برقعٍ عن طفلة غير [عابس][٣٤٢]
إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بالبرد برقعٌ ... [دواليك][٣٤٣] حتى كلنا غير لابس

وذلك أن الرجل يشق برقع حبيبته ، والمرأة تشق برد حبيبها ، [ويقولون: إن يفعل ذلك] [٣٤٤] عرض البغض بينهما » .

« ذكر أعرابى امرأة فقال : كاد الغزال يكونها لولا ما تم منها ونقص منه ، وما كانت أيامى معها إلا كأباهيم القطا قعرا ثم طالت بعدها شوقا إليها وأسفا عليه » .

عشق رجل امرأة فقيل له : ما بلغ من عشقك لها ؟ قال : كنت أرى القمر على سطح دارها أحسن من سطوح الناس .

«من جرى مع هواه طلقا جعل للعذل فيه طرقا » .

---

(٣٤٠) **الطَّرطب** : بالفتح : اضطراب الماء فى الجوف أو القربة ، أما بالضم وتشديد الباء فهو الثدى الضخم المسترخى الطويل .

[لسان العرب (١/٥٥٩)] .

(٣٤١) فى المستطرف [عبد بنى الحسحاس] .

(٣٤٢) فى المستطرف [عانس] بموحدة فوقية .

(٣٤٣) أى باستمرار ، وجاء فى المستطرف [من الحب] بدلا منها .

(٣٤٤) كذا بالأصل والصواب : [ويقولان إنهما إذا لم يفعلا ذلك] .

وقال عبدالله بن رواحة :

سَبَتْكَ بعَيْنَىْ [جوذر بجميلة][345] وجيد كجيد الرّيم زينة النظم
وأنفا كحد السيف يشرب قبلها وأشنف رفاف الثنايا به ظلم[346]

وقالت أعرابية فى صفة العشق : « جل والله أن يرى ، وخفى عن أبصار الورى ، فهو فى الصدور كامن كمون النار فى الحجر ، إن قرعته أورى ، وإن تركته توارى ، وإن لم يكن شعثه من الجنون فهو عصارة السّحر » .

وقال كثير عزة :

وإنى لأرضى منك ياعزَّ بالذى لو أيقنه الواشى لقرت بلابله[347]
بـلا وبأن لا أسـتطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخـره لاتلتقـى وأوائلـه

وقيل : « سرقت فؤاده إذا عشقها وتخللت مسك الروح منه » .

ويقال : « ناط حبها[348] بقلبى نايط وساطه بدمى[349] سايط » .

.**وقال أعرابى** : « لقد رأيتها عند أهلها فيتجهمنى لسانها ، ويرحب لى طرفها.»

---

(٣٤٥) كذا بالأصل ، ولعلها الصواب [جؤذربخميلة] ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والجمع جآذر ، الوسيط (١٠٣/١) وشبهت المرأة العيناء ذات العين الواسعة بهذا الجؤذَر لاتساع عينه ، والريم : الغزال .

(٣٤٦) **أشنف** : من الشنف وهو انقلاب الشفة العليا إلى أعلى ، ورفَّاف الثنايا : أى برَّاق الثنايا ، تقول ثغر رفاف : برَّاق متلألئٌ .
[الوسيط (٣٦١/١)] .

(٣٤٧) هومه ووساوسه .

(٣٤٨) ناط حبها بقلبى : أى علَّقه به .
[الوسيط (٩٦٣/٢)] .

(٣٤٩) **وساطه بدمى** : أى خلطه ومزجه .
[الوسيط (٤٦٣/١)] .

وقالت ليلى العامرية فى قيسها :

لم يكن المجنون فى حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانا
لكنه باح بسرٍّ الهوى وإننى قد ذبتُ كتمانا[٣٥٠]

وقال ابن مرضية : « سألت سعيد بن المسيب مفتى المدينة : هل فى حب دهماءِ من وزر ؟ فقال سعيد بن المسيب : إنما تلام على ماتستطيع من الأمر . فقال سعيد والله ما سألنى أحد ، ولو سألنى ما كنت أجبت إلا بهذا » .

« كان أهل الهوى فيما مضى أن يسر أحدهما بلبانة مضغتها حبيبته أو بسواكٍ استاكت به ، واليوم يطلب أحدهم الخلوة الصحيحة كأنه قد أشهد على نكاحها [أبا] سعيد [وأبا] هريرة »[٣٥١] .

مرّ مالك بن دينار بدار ليلى وإذا بقائل يقول :

يا سيدى قد جاءك المذنبُ يرجو الذى يرجوه من يتعب
فاصفح له عن ذنبه مفعماً وهب له منك الذى يطلب

فوقف مالك يسمع ويبكى والقائل يردد البيتين بصوت حزين ، فلما قارب السحر قال :

يا ناصباً مقلته فتنة إليك من مقليك المهرب

فقال : «يافاسق إنما كان تضرعك لغير الله ومضى » .

---

(٣٥٠) البيتان بالمستطرف (٣٤٨/٢) .

(٣٥١) ورد الخبر فى المستطرف (٣٥٣/٢) بلفظ آخر سياقه كما يلى : « كان الرجل إذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولاً يفرح أن يرى من يراها فإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ، واليوم هو يشير إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعده ، فإن التقيا لم يتشاكيا حبًّا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم إليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة . اهـ .

هوى أحمد بن عثمان الكاتب جارية لزبيدة اسمها « نعم » حتى مرض ونهك وقال فيها أبياتا منها قوله :

وإنى ليرضينـى الممـر ببـــابها   وأقنع منها بالشتيمة والزّجر[٣٥٢]

فوهبتها له » .

وقال ريان بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم :

[العشـــق ورباط النســـب]

علـق القـلب مهـاة طفلـــة   من بنى عبد مناف فى اللبـاب
وبنـــو زهـــرة أخـــوال لها   وبنو الأصبع أولاد الربـاب
من ذرى كلب وكلب هامـة   من معدٍ فى المعالى والروابى
جمعتنـــى وسليمـــــان نسوة   فاتكات من عدى بن حبـاب

وقال المعتز بالله :

بيضـاء ورد الشباب قد غمست   فى خجـــل دايب يعصرهـــا
مجدولة هزها الصبـا وغـدت   يشغـل لحظ العيـون منظرهـا
الله جار لها فمــا امتــلأت   عينـــى إلا حيث أبصرهـــا

أبوعبدالله الغـواص :

قمر لـــم يبق منى [حبة][٣٥٣]   وهـواه غير مقلـــوب قمـــر

وقال خليد مولى العباس بن محمد الهاشمى شاعر الظاهرية :

أمــا والراقصـــات بكـــل فـــج   ومـــن صلى بنعمـــان الأراك
لقد أضمـــرتُ حبك فى فـؤادى   وما أضمـرت حبـا من ســـواك

---

(٣٥٢) ورد البيت بالمستطرف (٣٤٨/٢) .

(٣٥٣) فى المستطرف [حسنة] انظر المستطرف (٣٩٢/٢) .

أطعت الأمر فيك بقطع حبلى من بهم فى أحبتهم بذاك
فإن هم طاوعوك فطاوعيهم وإن عاصوك فاعصى من عصاك

وقال عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – رأى بالشام امرأة فقال :

تذكرت ليلى والسماوة دونها فما لابنة الجورى سلمى وصاليا
وأنى تعاطى قلبه حادثة تدمن بصرى أو تحل الجوابيا

[الخوف من العشق]

وقال أعرابى :

أقول لعيسى قد يرى السيرهينا فلم يبق منها غير عظم مجلد
خذى بى ابتلاك الله بالشوق والهوى وهاجتك أصوات الحمام المغرد
فطارت مراحًا خوف دعوة عاشق تجوب فى الظلماءِ فى كل فدفدِ(٣٥٥)
فلما دنت فى السير ثنيت دعوتى وكانت لها سوطا إلى صخرة الغدِ

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل :

أيها العاشق المعذب صبراً فخطايا [أهل](*) الهوى مغفورة
زفرة فى الهوى أحط لذنبٍ من غزاة وحجة مبرورة(٣٥٦)

---

(٣٥٤) **العِيسُ** : من الإبل : الذى يخالط بياضه شقرة ، وهو الكريم منها ، ومفردها أعيس ، وعيساء . [الوسيط (٢/٦٣٩)] .

(٣٥٥) **الفَدْفَدُ** : الأرض الواسعة المستوية لاشىء بها ، والجمع فدافد . [الوسيط (/٦٧٧)] .

(*) فى المستطرف [أخى] .

(٣٥٦) ورد البيتان بالمستطرف (٣٤٨/٢) .

وقال يوسف بن الماجشون : « أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن :

إذا قلتُ هاتى ناولينى تبسمتْ وقالت معاذ الله فعل ما حرم
فما نولت حتى تضرعت حولها وعرفتُ ما رخص الله فى اللمم(٣٥٧)

فضحك وقال : إن كان وضاح لفقيها فى نفسه » .

وقال على بن هشام : « قر خسروا(*) وكان المأمون يزوره ويستأنس به ثم قتله ، ومن شعره :

يا موقد النارِ يُزكيها فيخمدها قَـرُّ الشتـاء بأرواحٍ وأمطـارِ
قم فاصطلى النار من قلبى مُضَرَّمَةً للشوقِ تغنى بها يا موقدَ النارِ
وما أخا الذود قد طال الظماء بها ما تعرف الرى من جدب وأقفارِ
رد بالعطاش على عينى وعبرتها تروى العطاش بدمع واكِفٍ(٣٥٨) جارِ

عبْدالرحمن بن القس :

قد كنت أعدل فى الصبابة أهلها فأعجب لما تأتى به الأيامُ
فاليوم أعذركم وأعلم أنما سبلُ الضلالةِ والهدى أقسامُ

بريـة المصـرى :

ياطيب مرعى مقلة لم تخف بوجنتيه زجر حراس
حلت بخد لم يفض ماؤه ولم تخضه أعين النـاس

---

(٣٥٧) **اللمم** : صغائر الذنوب ، ويقصد الضم والقبل والغمز .
وقد ورد البيتان فى « ثمار القلوب » للثعالبى (ص/١١٠) .

(*) كذا بالأصل .

(٣٥٨) **واكف** : مسترسل منهمر .

كشـــاجم :

فلم يزل خدها ركنا ألوذ بـه والخال فى صحنه يغنى عن الحجر

الجـيزورى :

لو أبصر الوجـه منـه منهـــزم يطلبـه ألـف فارس وقفـــــا

عن عمر بن أبى ربيعة : « كنت بين امرأتين هذه تساررنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من سرار هذه »[359] .

وقال [ريسان][360] العذرى مغرداً :

لوحز بالسيف رأسى فى [مودتها][361] لطار يهوى سريعا نحوها رأسى

« وسمع به ابن أبى ربيعة بعدما نسك ولبس الصوف فقال : أحسن والله وتحرك ، وقال : تالله لقد هيجتم على ما كان منى ساكنا » .

وقال محمود بن مروان بن أبى حفصة :

يدمى الحرير جلودهـن وإنما يكسين من حلل الحرير رقاقها

---

(٣٥٩) ورد الخبر فى المستطرف (٣٤٨/٢) .

(٣٦٠) وردت بالمستطرف [شيبان] .

(٣٦١) وردت بالمستطرف [محبتها] والبيت فى المستطرف (٣٤٨/٢) .

البـاب التاسع : فى العقل والفطنة والشهامة والتدبير والرأى والتجارب والنظر فى العواقب

قال النبى ﷺ: « ماستودع الله عبداً عقلا إلا استنقذه به يوما »[٣٦٢] .

وعنه عليه السلام : « العقل نور فى القلب يفرق بين الحق والباطل »[٣٦٣] .

وعن أنس – رضى الله عنه – قال : « قيل : يارسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب ، قال : ما من آدمى إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كانت سجيته العقل ، وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه » ، قيل : كيف ذلك يارسول الله ؟ قال : « لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ماكان منه فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة »[٣٦٤] .

وعنه : أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا فى الثناء بخصال الخير فقال رسول الله ﷺ : « كيف عقله ؟ » فقالوا : يارسول الله نخبرك باجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال نبى الله : « إن

---

(٣٦٢) **حديثٌ ضعيفٌ** : أخرجه ابن حبان (١٤٨/١) فى المجروحين ، وابن عدى (١٨٠/١) فى الكامل .

(٣٦٣) **لم أقف عليه** . وقال ابن القيم (ص/٢٥) فى المنار المنيف : أحاديث العقل كلها كذبٌ .

(٣٦٤) **حديثٌ موضوعٌ** : أخرجه العقيلى (٢٦٤/٤) فى الضعفاء ، وأبونعيم فى حلية الأولياء (٣٣٣/٦) ، وانظر : اللآلى المصنوعة (١٢٧/١–١٢٨) ، وتنزيه الشريعة (١٧٦/١) .

الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم »[٣٦٥] .

وقال الحسن : « كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده » .

وقال عامر بن عبدالقيس : « إذا عَقِلَكَ عَقْلُكَ عن مالا يعنيك فأنت عاقل »[٣٦٦] .

وقال عبدالله بن عبدالرحمن بن الحارث : « مارأيت عقول الناس إلا متقاربة إلا ماكان من الحجاج وإياس » .

وقال على بن عبيدة : « العقل ملك والخصال رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها فسمعه أعرابى فقال : هذا كلام يقطر عسله »[٣٦٧] .

وقال معن بن زائدة : « ما رأيت قفا رجل إلا عرفت عقله ، **قيل** : فإن رأيت وجهه قال : ذلك حينئذ إقراره » .

وقال فيلسوف : عقل الغريزة سلم إلى عقل التجربة » .

وقيل : « أيدى العقول تمسك أعنة الأنفس كل شيء إذا كثر رخص غير العقل فإنه إذا كثر غلا »[٣٦٨] .

قوله تعالى : ﴿ **لينذر من كان حيا** ﴾ قيل : من كان عاقلاً »[٣٦٩] .

---

(٣٦٥) **حديثٌ موضوعٌ** : أخرجه البيهقى (١٣٦/٧ فى سننه الكبرى ، والخرائطى (ص/٤) فى مكارم الأخلاق ، وابن أبى الدنيا (١٠) فى العقل .

(٣٦٦) ورد البيت بالمستطرف (٣٦/١) .

(٣٦٧) انظر المستطرف (٣٥/١) .

(٣٦٨) انظر المستطرف (٣٥/١) .

(٣٦٩) الأثر روى عن الضحاك ، والآية من سورة يس آية رقم (٧٠) وقد ورد الخبر فى عيون الأخبار لابن قتيبة (٣٩٤/١) .

وقيل : « العقل بخشونة العيش مع العقلاء ، آنس منه بلين العش مع السفهاء » .

وقال بزرجمهر : « لا شرف إلا شرف العقل ، ولا غنى إلا غنى النفس »[٣٧٠] .

وقال أعرابي: « العاقل متصفح ، والجاهل متسمح » .

وصف المعلى بن أيوب بن الزيات فقيل : كأن لسانه حية من ذكائه .

وقال أبوالعيناء لرجل : « ما فيك من العقل إلا مقدار مايجب به الحجة عليك والنار لك » .

وقال أعرابي : « لو صور العقل لأظلمت معه الشمس ، ولو صور الحمق لأضاء معه الليل »[٣٧١] .

وقيل : « العاقل من كان على جميع شهوته رقيب من عقله ، من يؤسس عقله التقوىٰ فلا عقل له » .

وقيل : « يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الأسد بقوته حيث كان[٣٧٢] .

وقيل : « كل شيء يحتاج إلى العقل ، والعقل يحتاج إلى التجارب[٣٧٣] » :

وقال الشاعر :

إذا لم يكن للمرء عقلٌ فإنه   وإن كان ذا بيت على الناس هين
ومن كان ذا عقل أجلّ لعقله   وأفضل عقلٍ عقل من يتدين[٣٧٤]

---

(٣٧٠) انظر المستطرف (١/٣٦) .
(٣٧١) ورد الخبر في عيون الأخبار (١/٣٩٤) .
(٣٧٢) انظر المستطرف (١/٣٦) .
(٣٧٣) انظر عيون الأخبار (١/٣٩٥) .
(٣٧٤) ورد البيتان بالمستطرف (١/٣٦) .

وقال المهلب. « لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه أحب إلىّ من أن أرى للسانه فضلا على عقله » .

وقال لقمان: « غاية الشرف والسؤدد حسن العقل ، فمن حسن عقله غطى عيوبه ، وأصلح مساوءه ، ورضى عنه مولاه » .

وقال على – رضى الله عنه –: « العاقل من وعظته التجارب » .

وكان يقال: الأديب العاقل الفطن المتغافل نعوذ بالله أن نكون ممن عقله صديق مقطوع وهواه عدو متبوع » .

يقال : « لفلان من عقله رقيب على شهوته يهديه إلى الهدى ويرده عن الردى » .

وقيل لحكيم : « متى عقلت ؟ قال : حين ولدت فلما رأى إنكارهم قال : أما أنا فقد بكيت [حتى][*] جعت وطلبت الثدى حين احتجت وسكت حين أعطيت يعنى من عرف مقادير حاجاته فهو عاقل[٣٧٥] .

أحلام عاد مَثَلٌ عند العرب فى رجاحة العقول قاسوا عقولهم على أجسادهم فاسترجحوها فقال :

وأحلامُ عادٍ لا يخــاف جليسُهم   وإن [نطقوا] العوراء غَرْب لسان[**]

وقال ابن المعتز : « ما أبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل إن لم يصدها الهوى » .

(*) كذا بالأصل والصواب [حين] .

(٣٧٥) وزد الخبر فى « بهجة المجالس » (٥٤٢/١) هكذا :

« قيل لزُرْعة بن مرة : متى عقلت ؟ قال : يوم وُلِدتُ ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : مُنِعْت الثدى فبكيت وأعطيتها فسكت » .ا.هـ .

(**) غرب اللسان : حدته ، والبيت فى « ثمار القلوب » (ص/٧٩) .

« العاقل يروى ثم يُروى ويخبر ثم يُخبر » .

وقال أزدشير بن هرمز بابك : « من لايكون عقله أغلب خلال الخير عليه كان حتفه » .

وعنه : « العاقل من ملك عنان شهوته » .

وقال بطليموس : « كل عمل يأذن فيه العقل فهو صواب » .

وعنه : « العاقل لايشرب من اليم إنكالا على ما عنده من الترياق »(٣٧٦) .

وقال ملك الخزر : « إذا شاورت العاقل صار عقله لك » .

وقال المنذر لابنه فيما أوصاه : « تدع الكلام وأنت عليه قادر ، وليكن لك عقلك حتى ترجع إليه أبدا فقال النعمان : مرنى بأمر جامع قال : الزم الحزم والحياء والعقل .

[**وقالوا : العاقل**] لاتبطره المنزلة السنية كالجبل لايتزعزع وإن اشتدت عليه الريح والسخيف يبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح »(٣٧٧) .

وقال الحجاج لابن القرية : « من أعقل الناس ؟ قال : الذى يحسن المداراة مع أهل زمانه » .

وقال حكيم : « العقل والتجربة فى التعاون بمنزلة الماء والأرض لايطيق أحدهما دون الآخر إثباتاً » .

---

(٣٧٦) **الترياق** : اسم تِفْعَال سمِّى بالريق لما فيه من ريق الحيّات .
[لسان العرب (١٣٦/١٠)] .

(٣٧٧) ورد الخبر فى :
ــ المستطرف (٣٧/١) .
ــ عيون الأخبار (٣٩٥/١) .
ومابين المعكفين استدركناه من المستطرف .

وقال العُتْبى : « العقل عقلان : عقل تفرد الله بخلقه ، وعقل يستفيده الرجل بأدبه [وتجرئته][*]، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب فى الجسد ، فإذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة نور البصر[٣٧٨] » .

وقال المأمون : « إذا أنكرت من عقلك شيئا فاقدحه بعاقل » .

قيل لعلى – كرم الله وجهه – : « صف لنا العاقل ؟ قال : هو الذى يضع الشىء موضعه ، قيل : صف لنا الجاهل ؟ قال : قد فعلت ، يعنى الذى لا يضع الشىء موضعه »[٣٧٩] .

وعنه : « الحلم غطاء ساتر ، والعقل حسام قاطع ، فاستر حلل خلقك بحلمك ، وقاتل هواك بعقلك » .

وقال حكيم : « اجعل سرك إلى واحد ، ومشورتك إلى ألف ، لن يعدم المشاور مرشدًا والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل » .

وقال أعرابى : « من لم يشمه التجارب دبت إليه عقارب العرب ترتجز » .

وقال أبوبكر الصديق – رضى الله عنه – : « أفضل الناس عند الله من عزَّبِهِ الحق وانتشر برأيه الصدق ، ورتق برأيه الفتق »[*]

وقال عبدالملك بن مروان : « لأن أخطىء وقد [استترت][**] أحب إلىّ من أن أصيب وقد استبددت »[٣٨٠] .

(*) كذا بالأصل والصواب [تجربته] .

(٣٧٨) انظر : بهجة المجالس (٥٣٤/١) .

(٣٧٩) انظر : المستطرف (٣٧/١) .

(*) الرَّتْقُ : ضدّ الفتق ، وقال ابن سيده : الرتْقُ إلحام الفتق وإصلاحه . اللسان (١١٤/١٠) دار صادر .

(**) كذا بالأصل والصواب [استشرت] .

(٣٨٠) انظر : بهجة المجالس (٤٥٥/١) .

ذكر أعرابي رجلاً قال : « كان الفهم منه ذا أذنين والجواب ذا لسانين» .

فيلسوف : « من عرف التجارب طابت له المشارب » .

وقال الفضل بن سهيل : « الرأى يسد ثلم السيف والسيف لايسد ثلم الرأى » .

دخل أحمد بن يوسف على المأمون ، وعريب تغمز رجله فخالسها النظر وأومأ إليها بقبلة فقالت : كحاشية البرد ، فلم يدر ما قالت فحدث به محمد بن بشير فقال له : أنت تدعى البطن ويذهب عليك مثل هذا ذهبت إلى قول الشاعر :

رمى صدغ ناب فاستمر بطنه ... كحاشية البرد اليمانى المسهم
إذا بلغ الرأى [المشورة][381] فاستعن ... [بحزم][382] نصيح أو نصيحة حازم
ولاتحسب الشورى عليك غضاضةً ... فإن الخوافى [قوة][383] للقوادم
وخل الهُوَينا للضعيف ولا تكن ... [نومًا][384] فإن [الحر][385] ليس بنائم

(٣٨١) فى عيون الأخبار [النصيحة] .
(٣٨٢) فى عيون الأخبار ، وبهجة المجالس [برأى] .
(٣٨٣) فى عيون الأخبار [رافدات] .
وفى بهجة المجالس [رافد] .
(٣٨٤) فى عيون الأخبار لابن قتيبة [نؤوما] .
(٣٨٥) وقعت فى عيون الأخبار [الحزم] .

وأدن من القربى المقرِّبَ نفسه ولاتشهد الشورى امرءًا [بمنادم][386]
وماخير كفّ أمسك الغُلُّ أختها وماخير [كف][387] لم يؤيَّدْ [بقادم][388]
فإنك [لا][389] تستطرد الهم بالمنا [ولم][390] تبلغ العلياء بغير المكارم

وقال النبى ﷺ : « المستشير معان »[391] .

وصف أعرابى امرءاً فقال : « يشرق بعزم لايدحو معه خطب ، ويومض بصواب لايلتبس عنده صعب حتى يغادر المستعجم معجماً والمشكل مشكولاً » .

« أدخل الرّكاض وهو ابن أربع سنين إلى الرشيد ليتعجب من فطنته فقال له : ما تحب أن أهب لك ؟ فقال : جميل رأيك فإنى أفوز به فى الدنيا والآخرة فأمر له بدنانير ودراهم فصبت بين يديه فقال : اختر الأحب إليك فقال : الأحب إلىّ الأمير وهذا من هذين وضرب بيده الدنانير فضحك الرشيد وضمه إلى ولده وأجرى عليه » .

« إن الحازم لا تدهش له عزيمة ولا تكتم له صريمة » .

---

(٣٨٦) جاءت فى عيون الأخبار وبهجة المجالس [غير كاتم] .

(٣٨٧) جاءت فى عيون الأخبار وبهجة المجالس [سيف] .

(٣٨٨) وردت فى عيون الأخبار وبهجة المجالس [بقائم] .

(٣٨٩) كذا فى بهجة المجالس ، وفى عيون الأخبار [لن] .

(٣٩٠) فى عيون الأخبار [ولن] ، وفى بهجة المجالس [ولا] .
والأبيات اختلف فى نسبتها فقيل : إنها لبشار بن برد ، وقيل : إنها لعنترة العبسى ، وقيل : إنها للعجّاج الأسدى .

(٣٩١) **حديثٌ ضعيفٌ** : أخرجه العسكرى فى الأمثال كما فى الجامع الكبير (٥٨٨٨) ، وانظر التمهيد لابن عبدالبر (٨/٣٧٠) .

قال بزرجمهر : « إن الحازم إذا أشكل عليه أمر بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع عن ما حوله مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها ، وكذلك الحازم يجمع وجوه الرأى فى الأمر المشكل ثم يضرب بعضها على بعض حتى يخلّص الرأى » .

وقيل : « هجين عاقل خير من هجين جاهل » .

قيل لبزرجمهر : « من أكمل الناس ؟ قال : من يجعل عقله وسمعه عرضا للفحشاء ، وكان الأغلب عليه التغافل » .

وقال عبدالله بن وهب الراسبى : « دعوا الرأى يغب فإن غيوبه يكشف لك عن محضه » .

وقال : « استفتحوا أبواب الرأى بالاستخارة » .

وقال ابن المقفع : « ما رأيت حكيماً إلا وتغافله أكثر من فطنته » .

حكيم قال : «المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأى »[٣٩٢] .

« أعقل الرجال لايستغنى عن مشورة أولى الألباب ، وأفره[*] الدواب لا يستغنى عن السوط ، وأورع النساء لاتستغنى عن الزوج »[٣٩٣] .

---

(٣٩٢) انظر المستطرف (١/١٦٦) .

(*) الفاره من الدواب : الطويل الجسم الكبير الحجم .

(٣٩٣) القول منسوب لبزرجمهر . انظر بهجة المجالس (١/٤٥٥) .

[أقســام النـاس]

وقال الحسن : « الناس على ثلاثة أقسام : فرجلٌ رجلٌ ، ورجل نصف رجل ، ورجــل لا رجل ، فأما الذى ليس برجل الذى ليس له رأى ولا يشاور »(٣٩٤) .

وقال :

إنى أنيخُ لها حزماً تنصبـه لا ترسل الساق إلا ممسكا ساقا

يضرب للحازم ونحوه : « أن رجلاً أتى أخاه واستشاره فى التقضى منه فقال له : إن كلباً أتى كلباً فى فمه رغيف محترق فقال : ويحك ما أردأ هذا الرغيف فقال : لعنة الله على من يتركه حتى يجد خيراً منه » .

وقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – للحطيئة : « كيف صبرتم على حرب بنى ذبيان وهم أضعافكم فى العدد ؟ قال : كان فينا ألف حازم . قال : وكيف كان فيكم ألف حازم ، وهل كان فى عبس وغطفان هذا؟ قال : كان فينا قيس بن زهير »(٣٩٥) .

كان بعض الماضين إذا استشير قال لمشاوره : انظـرنى حتى أصقل عقلى بنومة .

---

(٣٩٤) ورد الخبر فى المستطرف (١٦٦/١) بتمامه وفيه يقول الحسن البصرى :

« الناس ثلاثة : فرجل رجل ، ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل ، فأما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة ، وأما الرجل الذى هو نصف رجل فالذى له رأى ولا يشاور ، وأما الرجل الذى ليس برجل فالذى ليس له رأى ولا يشاور » ا.هـ .

(٣٩٥) ورد الخبر بنحوه فى عيون الأخبار (٨٨/١) ، وبهجة المجالس (٤٤٩/١) وسياقه كما يلى :

« قيل لرجل من بنى عَبْس : ما أكثر صوابكم ! فقال : نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكأننا ألف حازم » ا.هـ .

وقال المنصور لولده : « خذ عنى اثنين : لاتقل بغير تفكير ، ولا تعمل بغير تدبير »[٣٩٦] .

وقال طاهر بن الحسين :

اعمل ثواباً تنل بالحزم مأثرة فلم يذم لأهل الحزم تدبيرُ
وإن ظهرت على جهل وفزت به قالوا جهول أعانته المقاديرُ
أنكد بدنيا ينال المخطئون بها حظ المصيبين والمقدور مقدور

وقال إبراهيم بن التيمى : « مثلت نفسى فى النار أعالج أعلاها وسعيرها وزقومها وزمهريرها فقلت : يا نفسُ أيش[٣٩٧] تشتهين ؟ قالت : أن أرجع إلى الدنيا فأعمل عملا أنجو به من هذا العذاب ، ومثلتها فى الجنة مع حورها ألبس من سندسها وحريرها . فقلت : أيش تشتهين ؟ قالت : أرجع فأعمل عملا أزداد فى الثواب . فقلت : فأنت فى الدنيا وفى الأمنية فاعملى » .

وقال الفضل : « المشورة فيها بركة إنى لأستشير حتى هذه الحبشية »[٣٩٨] .

وقال ابن عيينة : « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أمراً شار فيه الرجال ، وكيف يحتاج إلى مشورة المخلوقين والخالق مدبر أمره ، ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وإن كان عالما »[٣٩٩] .

وقال أعرابى : « لامال أوفر من العقل ، ولا فقر أعظم من الجهل ، ولا ظهر أقوى من المشورة »[٤٠٠] .

---

(٣٩٦) المستطرف (١/١٦٦) .
(٣٩٧) **أيش** : أى شىء .
(٣٩٨) ورد فى المستطرف (١/١٦٧) .
(٣٩٩) ورد بلفظه فى المستطرف (١/١٦٦) وبنحوه فى بهجة المجالس (١/٤٤٩) .
(٤٠٠) ورد بالمستطرف (١/١٦٧) .

وقال أكثم بن صيفي : « فى الاعتبار غنى عن الاختبار » .

[وقال] حكيم(٤٠١) : « الرأى [الفذ](*) كالخيط السحيل ، والرأيان [كالخيطين](**) المبرمين ، والثلاثة [مراير](***) لا يكاد ينتقض »(٤٠٢) .

وقال لقمان – عليه السلام – : « يا بنى إذا أردت أن تقطع أمراً فلا تقطعه حتى تستشيرمرشداً » .

فى وصية على – رضى الله عنه : « يا بنى إنى وإن كنت عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى أعمالهم وفكرت فى أخبارهم حتى عدت كأحدهم بلى كأنى مما انتهى إلىّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره ، واستخلصت لك من كل أمر نخيله ، وتوخيت لك جميله وحرفت عنك مجهوله » .

وعن عمر – رضى الله عنه – : « لا أمين إلا من خشى الله فشاور فى أمرك من يخشى الله » .

وقيل : « له رأى كالسهم أصاب غرة الهدف ودهاء كالبحر بعد غورة قرب مفترق » .

وقد يتعاصى المرء فى عظم أمره ومن تحت برديه المغيرة أو عمرو
شار نفسى طمع مع خيبة يقول هاتى لا وهاتيك بلى

---

(٤٠١) فى عيون الأخبار [قال عمر بن الخطاب] .

(*) كذا بالأصل والصواب [الفَرْد] .

(**) ما بين المعكفين سقط استدركناه من عيون الأخبار .

(***) كذا بالأصل ، والصواب [مرار] وهو الحبل الذى أُجيد فَتْلُه .

(٤٠٢) انظر عيون الأخبار (٨٦/١) .

وقيل : « من بدأ بالاستخارة ، وثنى بالاستشارة فحقيق [أن لايقبل][403] رأيه » .

« له رواية مستعارة من حنكة » .

وقال سلمة بن عباس : « قال لى رؤبة : ما كنت أحب أن أرى فى رأيك فياله إذا حلت المقادير صكت التدابير » .

وقيل : « من نظر فى المغاب ظفر فى المحاب » .

من اشتدت غرائمه اشتدت دعائمه .

الرأى السديد أحمى من الأيد(*) الشديد »[404] .

أبوالقاسم [الهريدى][405] قال :

وما ألف مطرور[406] السنان مسدّد   يعارض يوم الروع رأيا مسددا

ذكر المأمون ولد على – رضى الله عنه – فقال : « أيدوا بتدبير الآخرة وحرموا تدبير الدنيا » .

قيل للأحنف : « بما سدت قومك ؟ قال : بحسب لايطعن فيه ، ورأى لايستغنى عنه » .

وقيل : « إذا غلب العقل الهوى صرف المساوىء إلى المحاسن فجعل البلادة حلما والحدة ذكاء والمكر فطنة ، والهذر بلاغة ، والعمر صمتا ، والعقوبة أدبا ، والجبن حذراً والإسراف جودا » .

---

(403) كذا بالأصل ولعلها [أن يقبل] وقد وقعت فى المستطرف [أن لايخيب] انظر المستطرف (167/1) .

(*) وردت بالمستطرف [البطل] .

(404) انظر المستطرف (167/1) .

(405) جاءت بالمستطرف [النهروندى] ، وهو أقرب إلى الصواب .

(406) مطرور السنان : مثقفه . وقد ورد البيت فى المستطرف (167/1) .

وقيل : « من اجتهد رأيه ، واستخار ربه، واستشار صديقه ، فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره ما أحب »[٤٠٧] .

وقال عمر – رضى الله عنه – : « ماتشاور قوم قط إلا هدوا الرشاد فى أمرهم » .

وقال بعض العرب لولده : يا بنى إن أباك أهدى من القطا ومن [دعيميص] [الرمل][*] ومن الطير فى الهواء ، قد جلب الدهر أشطره ، وعرف أعجيب الدهور ، وغوامض الأمور ، وأخذ عن النساك والفتاك وبات فى القفر مع الدعول[٤٠٨] ، وتزوج السِّعلاة[٤٠٩] ، وجاور الغول ، ودخل فى كل باب ، وجرى مع كل ريح ، وامتحن بالسراء والضراء ، وجالس السلاطين والمساكين ، ومثلت له التجارب عواقب الأمور » .

وقال سليمان – عليه السلام – : « يابنى ، لاتقطع أمراً حتى تشاور مرشداً ، فإذا فعلت فلا تحزن »[٤١٠] .

أحزمُ الناس رجلان : رجل وسَّع الله عليه فى الدنيا فشكر ليوسع عليه فى الآخرة ، ورجل ضيّق عليه فى الدنيا فصبر لئلا يضيق عليه فى الآخرة .

وقال أبوبكر الصديق – رضى الله عنه – : « ليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد التناظر » .

---

(٤٠٧) ورد الخبر بالمستطرف (١٦٩/١) .

(*) فى الأصل [دعصيص الماء] والصواب ما أثبتاه من ثمار القلوب (ص/١٠٤) . و[دعيميص الرمل] : هو أهدى أدلاء العرب للطرق يضرب به المثل .

(٤٠٨) كذا بالأصل ولعلها [الوعول] والوعل تيس الجبل وهو جنس من المعز الجبلية له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين ، والجمع أوعال ، ووعول .
[الوسيط (١٠٤٤/٢)] .

(٤٠٩) السِّعلاة : السِّعْلَى وهو الغول .

(٤١٠) انظر بهجة المجالس (٤٥٢/١) .

وقال على – كرم الله وجهه – : « خاطر من استفتى برأيه » .

وقال المعتصم : « إذا نصر الهوى خذل الرأى » .

وقال بعض العلماء : « المستشير وإن كان أفضل رأيا من المستشار فإنه يزداد برأيه كما تزداد النار [بالتلسيط][411] ضوءاً » .

وقيل : « لما قتل المنصور أبا مسلم قال لصاحب شرطته نصر بن مالك الخزاعى : هل استشارك أبومسلم فى القدوم فأشرت عليه أن لايفعل قال : نعم » .

وقال : « سمعت إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه : لايزال الرجل يزداد له فى رأيه ما نصح لمن استشاره » .

وقال أحمد بن موسى السلمى من بنى الشريد :

إذا خصلتان أشكل الرأى فيهما فسعيك فى شعث التى هى [لك] أجمل
ورأيك من رأى المشيرين كلهم غداة اختلاف الرأى وأعدل

[أناس تجنب مشورتهم]

وعن على – رضى الله عنه : « لاتدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الصواب ، ولا جبانا يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخيل والجبان غراير شتى يجمعهما سوء الظن بالله » .

وعنه : « من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها » .

وقال الأشجع السلمى :

رأى سرى وعيون الناس هاجعة ماأخر العزمَ رأىٌ قدَّم الحذرا[412]

---

(٤١١) كذا بالأصل وفى عيون الأخبار لابن قتيبة (٨٢/١) [بالسَّليط] وهو كل دهن عصر من حَبٍّ ، وقد كانت المصابيح تضاء به .

(٤١٢) البيت من البسيط ، وقد ورد فى عيون الأخبار (٨٦/١) .

سمع محمد بن [يزداد][٤١٣] وزير المأمون قول القائل حيث يقول :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن يترددا

فأضاف إليه :

وإن كنت ذا عزم فانفذه عاجلاً فإن فساد العزم أن [يتفندا][٤١٤]

وقال محمد بن إدريس الطائى :

ذهب الصوابُ برأيه فكأنما آراؤه اشتُقَّت من التأييد
فإذا دجى خطب تبلج[٤١٥] رأيه صبحا من التوفيق والتسديد

وقال [محمود][٤١٦] الوراق – رحمه الله تعالى :

إن اللبيبَ إذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاوراً
وأخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يعتسفُ[٤١٧] الأمور مخاطراً

وقال [المأمون][٤١٨] حين بدا له تقديم [الأسن][٤١٩] على المأمون فى [المهد][٤٢٠] :

---

(٤١٣) وقعت فى المستطرف [داود] .

(٤١٤) بالمستطرف [يتقيَّدا] انظر المستطرف (١٦٧/١) .

(٤١٥) دَجَى : أظلم . تبلَّج : أشرق وأضاء .

(٤١٦) بالمستطرف [محمد] ومحمد الوراق هو محمد بن هبة الله بن محمد أبوالحسن ابن الوراق شيخ العربية والأدب ببغداد فى عصره كان ضريراً يعلم أولاد القائم بأمر الله الخليفة . توفى سنة ٤٧٠هـ .

(٤١٧) يعتسف : يميل بها عن الصواب جهلا منه .

(٤١٨) كذا بالأصل والصواب [الرشيد] .

(٤١٩) كذا بالأصل والصواب [الأمين] .

(٤٢٠) كذا بالأصل والصواب [العهد] .

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى [عليت على][٤٢١] الأمر الذى كان أحزما
فكيف [الرأى الله][٤٢٢] فى الضرع بعدما [تروع][٤٢٣] حتى صار نهباً مقسما
أخاف التواءَ الأمر بعد استوائــه وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما[٤٢٤]

[وقال] غيره :

وما المرء منفوعا بتجريب غــيره إذا لم تعظه نفسه وتجاربـه

[وقال] غيره :

خليليّ ليس الرأى فى صدر واحد أشيرا علىّ اليـوم ما تريـان

محمود بن ذؤيب :

ويفهم قول الحكل لو أن ذرة تساود أخرى لم تفته سوادها

وصف رجل عضد الدولة فقال له : « وجه فيه ألف [عين ، وفم فيه ألف][٤٢٥] لسان ، وصدر فيه ألف قلب » .

وقال لقمان : « يا بنى تشاور من جرّب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلا(*) وأنت تأخذه بالامتحان » .

---

(٤٢١) الصواب [عدلت عن] .

(٤٢٢) كذا بالأصل والصواب [يردّ الدَّرّ] .

(٤٢٣) كذا بالأصل والصواب [توزّع] .

(٤٢٤) أبرم : عقد وفتل .

(٤٢٥) ما بين المعكفين سقط استدركناه من المستطرف (١٦٨/١) .

(*) كذا بالأصل .

وقال أردشير بن [تابك][٤٢٦] : « أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الأدب ، والسرور إلى الأمن ، والقرابة إلى المودة ، والعقل إلى التجربة »[٤٢٧] .

وقال الإسكندر : « لاتستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فإن الدرة لايستهان بها لهوان غائصها »[٤٢٨] .

وجاء فى الحديث : « ما أوتى أحد عقلا ولا فضلا إلا احتسب عليه من رزقه »[٤٢٩] .

وقال مسلمة بن عبدالملك : « ما ابتدأت أمراً قط بحزم فرجعت إلى نفسى بلائمة وإن العاقبة علىّ ، ولاضيعت شيئا من الحزم فسررت به وإن كانت العاقبة لى هنا » .

لما ولى المهدى الخلافة فسأل عن العتبى فقالوا : « هو من أولاد عتبة بن أبى سفيان فقال : أو قد بقى من أحجارهم ما أرى من قولهم رمى بحجر الأرض » والله أعلم .

---

(٤٢٦) كذا بالأصل والصواب [بابك] .

(٤٢٧) انظر المستطرف (١٦٨/١) .

(٤٢٨) انظر المستطرف (١٦٨/١) .

(٤٢٩) لم أقف عليه .

الباب العاشر : فى العمل والكد والتعب والشغل والجد والعزم والنية والكفاية ، والكيس والعجلة والسرعة والعدو وحسن التأنى فى الأمور وانتهاز الفرص

[أفضل الأعمال]

قال النبى ﷺ : « أفضل العمل أدومه وإن قل »[٤٣٠] .

وعن عائشة - رضى الله عنها- : « كان عمله ديمة »[٤٣١] .

وقال على - كرم الله وجهه - : « قليل مُدامٌ عليه خير من كثير مملول منه »[٤٣٢] .

وعنه : « أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه » .

وقال : « لما مات على بن الحسين فغسلوه وجدوا على ظهره مجلا مما كان يستقى لضعفة جيرانه بالليل ، ومما كان يحمل إلى بيوت المسلمين من جرب الطعام »[٤٣٣] .

---

(٤٣٠) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٧٨٢) وأحمد (١٩٩/٦) .

(٤٣١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٥٥/٣) ، (١٢٢/٨) ، ومسلم (٧٨٣) وأحمد (٤٣/٦ ، ٥٥ ، ١٨٩) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٩٩/٤) .

(٤٣٢) ورد الأثر بالمستطرف (١٢٤/٢) .

(٤٣٣) رواه أبونعيم فى حلية الأولياء (١٣٦/٣)، وروى أبونعيم عن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لايدرون من أين معاشهم فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به فى الليل » .

فى التوراة : « حرك يدك أفتح لك باب الرزق »[٤٣٤] .

وقال داود الطائى : « رأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب أليس يجمع آلته ؟ فإذا أفنى عمره فى جمعه فمتى يعمل » .

« كان إبراهيم بن أدهم يستقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين للناس والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل »[٤٣٥] .

[اعمــل بما علمــت]

وقال النبى ﷺ : « تعلموا ماشئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعلموا به ، فإن العلماء همتهم الرعاية ، وإن السفهاء همتهم الرواية »[٤٣٦] .

وقال ابن مسعود – رضى الله عنه – : « كونوا للعلم وعاة ولاتكونوا رواة فإنه قد يرعوى[٤٣٧] ولا يروى ، ويروى ولا يرعوى » .

وقال عيسى – عليه السلام – : « ليس بنافعك أن تعلم ما لاتعمل إن كثرة العلم لا يزيدك إلا جهلا إذا لم تعمل به » .

وقال مالك بن دينار : « إن العالم إذ لم يعمل زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصّفا » .

وقال شبيب بن سليم الأسدى : « دخلنا على الحسن حجاجًا فدعى لنا ثم قال لنا : لعلكم من أصحاب السبورحات قلنا : لا . قال : إياكم وإياهم فإنه بلغنى أن الرجل منهم يكتب خمسمائة حديث ثم يضيعها ولايعلم أن الله سائله عنها حرفاً حرفاً » .

---

(٤٣٤) ورد بالمستطرف (١٢٤/٢) .
(٤٣٥) ورد بالمستطرف (١٢٤/٢) .

(٤٣٦) **حديثٌ ضعيفٌ** : أخرجه ابن عدى (٤٥٩/٢) فى الكامل ، والخطيب (٩٤/١٠) فى تاريخ بغداد ، من حديث معاذ ، وكذا أخرجه أبونعيم (٢٣٦/١) فى حلية الأولياء ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه من حديث أبى الدرداء ، كما فى الكنز (٢٩١١١) .

(٤٣٧) **يرعوى** : يثبت ويستقر .

وقال على – كرم الله وجهه – : « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : ما ينفى عنى حجة الجهل ؟ قال : العلم . قال : فما ينفى عنى حجة العلم ؟ قال : العمل »(٤٣٨) .

[فى ذم العجـز والتوانـى]

وقال النبى ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ثم تمنى على الله الأمانى »(٤٣٩) .

« شر الأعمال ما كان عناؤه طويلا وغناؤه قليلا » .

« رأى رسول الله ﷺ فرجة فى لبن قبر ولده إبراهيم فأمر أن تسد وقال : أما إنها لاتضر ولاتنفع ولكن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه »(٤٤٠) .

وقال الأوزاعى : « إذا أراد الله بقوم شراً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل » .

وأنشد يقول :

ومالمرء إلا حيث [يجمل](*) نفسه ففى صالح الأعمال نفسك[فاعمل](٤٤١)

---

(٤٣٨) **حديثٌ ضعيفٌ** : أخرجه الخطيب (٤) فى اقتضاء العلم العمل ، وانظر تخريجه هنالك .

(٤٣٩) **حديثٌ ضعيفٌ** : أخرجه أحمد (١٢٤/٤) ، والترمذى (٢٥٧٧) ، وابن ماجه (٤٢٦٠) ، وابن أبى الدنيا (١) فى محاسبة النفس ، والحاكم (٥٧/١) ، (٢٥١/٤) .

(٤٤٠) **حديثٌ ضعيفٌ جداً** : أخرجه ابن سعد (١٥٦/٨) فى طبقاته ، والطبرانى (٣٠٦/٢٤) فى الكبير ، من حديث سيرين أخت مارية . وأخرجه ابن سعد (١٤٢/١) مرسلاً عن مكحول الشامى . وانظر مجمع الزوائد (١٦٢/٩) .

(*) بالمستطرف [يجعل] والصواب ما ورد بالمستطرف .

(٤٤١) بالمستطرف [فاجعل] انظر المستطرف (١٢٤/٢) .

وقال عمر بن عبدالعزيز : « إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما » .

وعن حكيم : « ما شيء أحسن من عقل زانه علم ، ومن علم زانه حلم ، ومن حلم زانه صدق ، ومن صدق زانه عمل ، ومن عمل زانه رفق »(٤٤٢) .

كتب لبعض الملوك على صحيفة من ذهب : « لا عمل إلا العمل للثواب » .

شـــعر

ألم تر أن الله [أوحى](**) لمريمَ [إليك فهزى](***) الجذع يساقط الرطبْ
ولو شاء أن تجنيه من غير هزّه [ولكن جعل كل الأمور لها سببْ](٤٤٣)

قال أكثل السـدسى :

صبراً خلاج ولن تعانق طفلة شرقا بها الجارى كالتمثـال
حتى تلاقى فى الكتيبة معلما عمرو القنا وعبيدة بن هـلال

صعصعة بن معاوية التميمى قال :

وللمجد حومات تلقاك دونها مهالك مقطوع عليها جسورها

وقال عبدالله بن السائب : « إن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فلا تُحزنوا موتاكم » .

---

(٤٤٢) ورد الخبر بالمستطرف (١٢٥/٢) .
(**) بالمستطرف [قال] .
(***) بالمستطرف [وهزّى إليك] .
(٤٤٣) ورد بالمستطرف هكذا :
[جنته ولكنْ كل رزقٍ له سببْ] المستطرف (١٢٨/٢) .

وعن عباد الخواص أنه دخل على إبراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال : عظنى ؟ فقال : « أصلحك الله بلغنى أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ماذا يعرض على رسول الله ﷺ من عملك ، فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه »[٤٤٤] .

وكان أبو أيوب الأنصارى يقول : « اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به » .

وعن على – كرم الله وجهه : « كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل فإنه لايقل عمل بالتقوى وكيف يقل عمل بتقبل » .

وعن بعضهم : « صفّ عملك من الآفات وإن قل تسعد به فى الدارين ، ومن لم يتق الآفات فى عمله فإنه لايكاد يفلح ، وإن أكثر اجتهاده ، وإنما ارتفع القوم لاعتنائهم بإصلاح سرائرهم فعند ذلك أمرهم الله بالنصر على الشيطان ، وبصرهم مكايده ، وصاروا من الأبطال حتى إن الشيطان ليفر من ظل أحدهم » .

وقال مطرف : « لأن يقول لى ربى لِمَ لَم تعمل أحب إلىّ من أن يقول لى لم عملت » .

وقال الدّارانى : « إن عمل الرجل مع رفيقه ومع أهله عمل فى السر لأنه لايقدر أن يكتم منها » .

وقيل : « تفرقت بفلان شعب الدنيا إذا كثرت أشغاله » .

وقال عبدالله بن سليمان لأبى العيناء : « اعذرنى فإنى مشغول ، فقال : إذا فرغت لم أحتج إليك ، وما أصنع بك فارغاً » . وأنشد

فلا تتعلل بالشغل عنا فإنما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

« واعتذر بعضهم إلى رجل بالشغل فقال : لابلغت يوم فراغك » .

---

(٤٤٤) ورد الخبر فى المستطرف (٢/١٢٥) .

وقيل لروح بن حاتم : « لقد طال وقوفك فى الشمس قال : ليطول وقوف فى الظل »[(٤٤٥)] . وأنشد:

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ... ولم أدر أنى للمقام أطوف

أعرابية فى ابنها :

لو ظمىء القوم فقالوا من فتى ... محلف لايردعه خوف الردا

بعثو سعدى إلى الماء سدا ... فى ليلة بيانها مثل العما

بغير دلو ورشاءٍ لاستسقى ... أمرد يهدى رأيه رأى اللحا

« من غلا دماغه فى القيظ غلت قدره في الشتاء »[(٤٤٦)] .

وقال لقيط بن زرارة يرتجز يوم جبلة :[(*)] :

إن الشواء والنشيل والرغف[(٤٤٧)]

والقينة الحسناء والكأس الأنف

للضاربين الهام والخيل جيف[(**)]

كان عمر بن حبيب إذا فرغ من تهجده قال : « الرواح الرواح ، السباق السباق ، سبقتم إلى الماء والظل ، إنه من يسبق إلى الماء لم يظمأ ، ومن يسبق إلى الظل لم ينضح » .

---

(٤٤٥) ورد الخبر فى عيون الأخبار (٣٣٩/١) .

(٤٤٦) ورد الخبر فى عيون الأخبار (٣٥١/١) .

(*) قال ياقوت : وهو يوم بين بنى تميم وبنى عامر بن صعصعة من أعظم أيام العرب وأشدها ، وقال البكرى : كان يوم جبلة فى عام مولد النبى ﷺ ويقال له : « يوم تعطيش النوق » وكان لقيط رئيس تميم فيه فقتله عمارة الوهاب العبسى . انظر الأعلام (٢٤٤/٥) ، ومعجم ما استعجم للبكرى (٣٦٥) .

(٤٤٧) الشواء : اللحم المشوى.. والنشيل : اللحم المطبوخ بغير تابل .
والرغف : جمع رغيف وهو الخبز .

(**) كذا بالأصل وفى لسان العرب [قُطف] اللسان (٦٦١/١١) .

« وكان فى بستان له ومعه غلامه فأذَّن المؤذن فقال الغلام : الله أكبر الله أكبر فقال : سبقتنى إليها أنت حر ولك هذه النخلة إن كلف السعى سعى وإن ثقل قم يثبت » .

وقال عبيدة بن عمير : « ماالمجتهد فيكم إلا كا للاعب فيما مضى ما فى كل صدر اتساع ، ولا فى كل نفس اطلاع ، عينه إليه ممدودة ، وأذنه عنه مسدودة » .

مدح أعرابى رجلا فقال : « كان والله إذا نزلت به النوائب قام إليها ، ثم قام بها ، ولم تقعد به علامات النفوس » .

وقال أبومسلم صاحب الدولة :

أدركتُ بالجد والتشمير ما عجزتْ عنه ملوكُ بنى مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهمـو بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنم فى أرض مسبعةٍ[٤٤٨] ونام عنها تولى رعيها الأسد

« إذا هم بأمرهان علاجه ، وانفتح رتاجه » .

وقيل : « فلان يستعير السنيف حده ، ويتعلم السيف جدّه ، فلان لايخف لهذه إذا لم يفتر ، هو فى طلبه قاضى تدور ، أخف من حسو طائر ، ولفتة ناظر ، ومن لمعة بارق ، وخلسة مارق ، أخف من جلسة منتهز ، وجلسة مستوفز ، فلان لايزعزع عما يريبه ، ولايستنزل عما ينوبه ، تسنم ظهر مفخرة أنيخت لتركبها ولاتك بالهبوب ، ما درى على البرق سار أم على البراق ، دو السعرى[٤٤٩] هو وابن براق أسرع من النجم منكدراً ، ومن الماء منحدراً أسرع حتى ظله لايلحقه ، لايمس إلا تحليلا ، وأيما لايطؤها إلا إشارة وإيماءً برز عن الغاية وقصب ، وغبر فى وجوه الخيال وخصب .

بريتُ من الرحمن من كل صاحبٍ أصاحبه إلاخماس بن ثامـلِ
وظنى به بين السماطين أنه سينجو بحق أو سينجو بباطلِ

(٤٤٨) مسبعة : أرض موحشة كثر فيها السباع .
(٤٤٩) كذا بالأصل .

[ماجاء فى العجلة والسرعة]

« لايكاد يعدم الصرعة من عادته السرعة » .

وقال ﷺ : « سرعة المشى يذهب ببهاء المؤمن »[٤٥٠] .

وقال عدى بن أرطأة لإياس بن معاوية : « إنك لسريع المشية قال : ذاك أبعد من الكبر وأسرع فى الحاجة » .

« كان الأسود بن يزيد صاحب ابن مسعود يجتهد فى العبادة ويصوم فى الحر حتى يخضر جسده ويصفر ويكاد لسانه يسود من الظمأ فى الهواجر فيقول له علقمة : كم تعذب هذا الجسد فيقول : إن الأمر يأبى سبيل الجد الجد » .

وقال عيسى – عليه السلام – لرجل : « ما تصنع ؟ قال : أتعبد . قال : فمن يعود[٤٥١] عليك ؟ قال : أخى . قال : أخوك أعبد منك » .

[ما جـاء فى العَـدْو]

وقيل : « عدا كلب خلف غزال فقال له : لن تلحقنى قال : لماذا ؟ قال : لأنى أعدو لنفسى وأنت تعدو لصاحبك » .

وقيل : « نظر رجل إلى طيبة[٤٥٢] تزود فقال له أعرابى : هل تحب أن يكون لك ؟ قال : نعم . قال : أعطنى أربعة دراهم حتى أردها عليك فعمل فجعل يمحض فى أثرها حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول :

---

(٤٥٠) **حديث ضعيف** : أخرجه أبونعيم (١٠/٢٩٠) فى الحلية من حديث أبى هريرة ، وأخرجه الخطيب فى الجامع من حديث ابن عمر ، وأنس ، وانظر : السلسلة الضعيفة (٥٥) فلقد أفاد وأجاد .

(٤٥١) **يعود عليك** : أى يسعى فى حاجتك وإطعامك .

(٤٥٢) كذا بالأصل ولعلها [ظبية] .

وهى على البعد تلوى خدّها تريع شدّى وأربع شدّهــا
كيف ترى عدو غلام ردها وقل ممن جد فى أمر لها

[مــن جد وجــد]

« واستصحب الصبر تحظى منه بالظفر من جد وجد » .

تقول العرب : « فلان وثاب على الفُرص، الزق مادام التنور حاراً : أى اطلب الأمر فى أى مكان هو من فرص الأيام وغرورها وحجول الأمانى وغررها » .

وإنى إذا باشرتُ أمراً أريده تدانت أقاصيه وهـان أشده
ولو بت تقدح فى ظلمة صفاء يتبـــــع لأوريت نارا(٤٥٣)

وقال حماس بن الأبرش الكلبى :

ولو جمع الأقوام إذ أنت وسطنا لما عدلوا فى موطن منك أصبعا

كتب سلمة إلى أخيه الوليد من القسطنطينية يقول :

أرفت وصحنا للطوانة بيننـا لبرق تلالأ نحو غمـرة يلمـح
أزاول أمراً لم يكن ليطيقـه من القوم إلا اللوزعى الصمحمح(٤٥٤)

وقال غـيره :

نَقْلُ الجبال الرواسى من مواضعها أخف من رد نفسى حين ينصرف

(٤٥٣) كذا بالأصل وليس ثمة ارتباط بين البيتين ولعلهما لشاعرين مختلفين .
(٤٥٤) **اللوزعى** : الذكى الحاذق . **والصمحمح** : الشجاع القوى .

[طلب العزة]

[عن تميم الدارى – رضى الله عنه – قال :] سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل ولايترك الله بيت [مدر] ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز يعز الله به الإسلام أو ذل ذليل يذل الله به الكفر »(٤٥٥)

وعن على – رضى الله عنه – رفعه : « من نقله الله من ذل المعاصى إلى عز التقوى أغناه بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس » .

وقيل للحسن بن على – رضى الله عنه – : « فيك عظمة قال : لا بل فِيَّ عزةُ الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله ﴾(٤٥٦) .

وقال ابن أبى لبابة : « من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بحق » .

النابغة الجعدى :

فإن كنت ترجو أن تحول عزنا يكفيك أن يأتى عليك ويثقلا
وإنى لأرجو إن أردت انتقاله يكفيك أن يأتى عليك ويثقلا(٤٥٧)

نصـــر بن سيار :

إن ينصرونا لا نُعزُّ بنصرهـم أو يخذلونـا فالسمـــاء سمـــاءُ

يريد : فشرفنا بحاله لايحطه خذلانهم فضرب السماء ودوامها على حال واحدة مثلا .

قال رجل للحسن : « إنى أريد السِّند فأوصنى قال : أعز أمر الله حيث ما كنت يعزك الله ، قال : فلقد كنت بالسِّند وما بها أحد أعَزُّ منِّى » .

---

(٤٥٥) حديثٌ صحيحٌ : أخرجه أحمد (١٠٣/٤) ، وابن حبان (١٦٣١) ، (١٤٣٢) ، والحاكم (٤٣٠/٤-٤٣١) وصححه وأقره الذهبى ، والطبرانى (١٢٨٠) فى الكبير ، والبيهقى (١٨١/٩) فى سننه الكبرى .

(٤٥٦) سورة : المنافقون – الآية : ٨ .

(٤٥٧) كذا البيتان بالأصل .

سئل محمد بن الحنفية عن أعظم الناس خطراً فقال : « الذى لايرى الدنيا كلها عرضا من بدنه ، ثم قال : إن أبدانكم هذه ليس لها أثمان إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها » .

[أسـباب السـيادة]

وقيل : « قدم البصرة بدوى فقال لخالد بن صفوان : أخبرنى عن سيد هذه المصر قال : هو الحسن بن أبى الحسن قال : عربى هو أو مولى ؟[قال هو مولى](٤٥٨) فقال : وبم استادها ؟ قال : احتاجوا إليه فى دينهم واستغنى عن دنياهم ، فقال البدوى كفى بهذا سؤدداً » .

وقال على – رضى الله عنه – : « ماأرى شيئاً أضر بالرجال من خفق النعال وراء ظهورهم » .

[نفس عصام يضرب مثلاً لمن يشرف بالاكتساب لا بالانتساب ، وعصام هو الباهلى الذى يقول فيه النابغة] .

نفس عصام سودت عصاما — وعلمته الكر والإقداما
وقدمته فى الأمور كلها — وصيرته ملكاً هُماما

« اتصل بالرزال رجل من أتباع النعمان فلم يزل بارتفاع همته حتى استولى أمر النعمان فى ذلك فسئل النعمان فقال : ما قدمته وإنما قدمته الأخلاق السرية المجتمعة فيه » .

وقال الأدهم السعدى :

ولو أنى أشاء كنيتُ نفسى — وعادانى سواء أو قدير
ولا عبنى على الأنماط لعس — عليهن المجاسد والحرير
ولكنى إلى تركات قوم — هم الرؤساء والنيل البحور

---

(٤٥٨) مابين المعكفين استدركناه ليستقيم المعنى .

[ذم الرياســـة]

وقال فضيل : « ما عشق الرياسة أحد إلا حسد وبغى وطغى » .

وعنه : « من عشق الرياسة لم يفلح » .

وعنه : « لايطلب الرياسة أحد إلا طلب عيوب الناس ومساوءهم وكره أن يذكر عنده أحد بخير » .

وعنه : « ما كثر تبع رجل إلا كثرت شياطينه » .

وقال إبراهيم بن أدهم : « كن ذَنَباً ولا تكن رأساً فإن الذنب ينجو والرأس يهلك » .

« كان الرجل يجلس إلى جانب الحسن ثلاث حجج لايسأله مسألة هيبة له » .

فى مالك بن أنس :

يأبى الجواب فلا يرجع هيبــة والسائلون نواكس الأذقـــان
هدى التقى وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان(*)

وقال خالد بن صفوان : « كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه » .

[فضــائل قريــش]

وقال النبى ﷺ : « قدموا قريشا ولاتقدموها ، وتعلموا منها ولا تعلموها »[459] .

(*) البيتان لعبدالله بن سالم الخياط ، وقد ورد البيت الثانى فى ترتيب المدارك للقاضى عياض (٢٤٦/١) ولفظه :
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

(٤٥٩) **حديثٌ صحيحٌ** : أخرجه ابن أبى عاصم (١٥١٥) فى السنة من حديث سهل بن أبى حثمة وهو مرسلٌ، ومن حديث عبد الله بن السائب (١٥١٩) وفيه أبو معشر من=

شـــعر

إن قريشاً من خيرِ الأمـمِ لايضعـون قدمـاً على قــدمِ

وعن عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيقف بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله »(٤٦٠) .

وقال رجل لقتيبة بن مسلم : « أتيناك لنزراك ولا نتكلوك وإنما نسألك جاهك فقال : سألتم أثقل الهموم » .

وقال على – كرم الله وجهه – : « والله إنا لنعطى أموالنا وقاية لوجوهنا » .

وقال محمد بن عبدالسلام البغدادى :

واسوأتـاه لامرىءٍ فى شبيبتــه فى عنفوانٍ وماؤه خَضِـلُ(٤٦١)
راضٍ بقوت المعاش متكـل على تراث الآبـــاء يتكـــلُ
لا حفظ الله ذاك من رجـلٍ ولا دعـاه ما أطَّت (٤٦٢) الإبـلُ
كلا وربى حتى يكون فتى قد نهكته الأسفـار والرحـلُ
تسمـــوا به همة تغـــادره وطرفــه بالسهـــاد مكتحـــلُ
مصمـم يطـلب الريـاسة أو يضرب فتكـا بفعلـه المثــلُ

= الضعفاء ، ومن حديث جبير بن المطعم (١٥٢١) ، و(١٥٢٠) من حديث عتبة بن غزوان ، وأخرجه الشافعى (١٨٤١) ، (١٨٤٩) فى مسنده مرسلاً من حديث الزهرى ، وانظر : إرواء الغليل (٥١٢) ، مجمع الزوائد (٢٥/١٠) .

(٤٦٠) **حديثٌ ضعيفٌ** : أخرجه ابن حبان (١٣٧/٣) فى المجروحين، والخطيب (٩٩/٨) فى تاريخ بغداد ، وابن الجوزى (١٦٨/٢) فى الموضوعات ، وانظر : مجمع الزوائد (٣٤٦/١٠) .

(٤٦١) **خضِلَ** : نَدِىَ وابتلَّ ونَعُمَ فهو خَضِلٌ وخاضل وأخضل .
[الوسيط (٢٤٢/١)] .

(٤٦٢) **أطَّتِ الإبل** : أنَّتْ من تعب أو ثِقَل حمل ، أو حنين .
[الوسيط (٢٠/١)] .

حتى متى تخدم الرّجاء ولا تخدم يوماً لابنك الهبلُ[٤٦٣]

وقال أبوهريرة – رضى الله عنه – : عن النبى ﷺ : « كفى بالمرء فتنة أن يشار إليه بالأصابع فى دين أو دنيا »[٤٦٤] .

كان شبيب بن أبى شيبة إذا ذكر عمرو بن عبيد يقول :

إذا ما ترى الرّجال تحفظوا فلم ينطق العوراء وهو قريب

أراد عاصم الخروج إلى البصرة فقال للشعبى : « ألك حاجة ؟ قال : إذا أتيتها فبلغ الحسن سلامى فقال ما أعرفه فقال : انظر إلى أجمل رجل فى عينك وأهيبه فى صدرك فأقرئه عنى السلام » .

هو أنور من ليلة البدر وأشهر من يوم بدر

[الخوف من الشهرة]

وقال الحسن : « لقد صحبت أقواماً وإن الرجل لتعرض له الكلمة من الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه فما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة » .

وقال ابن سيرين : « لم يمنعنى من مجالستكم إلا مخافة الشهرة فلم يزل بى البلاء حتى أُخذ بلحيتى فأقمت على المسطبة[٤٦٤] فقيل : هذا ابن سيرين » .

كان أيوب السختيانى يخفى زهده ومارئى أحد أشد تبسماً فى وجوه الرجال منه ، ودخلوا عليه مرة فإذا على فراشه مجيس أحمر فرفعوه فإذا خصفه محشوة ليف ، وكان يقوم الليل فإذا كان آخر الليل يرفع صوته يوهم أنه قام تلك الساعة وكان يقول : أهلكت المعرفة والله إنى أخاف أن أكون بها شقيا » .

وقال معمر : « رأيت قميص أيوب يكاد يمشى على الأرض فقلت : ما هذا ؟ قال : إذا كانت الشهرة فيما مضى فى تذييلها فاليوم الشهرة فى تقصيرها » .

---

(٤٦٣) **الهُبَل** : صنم كان بالكعبة .

(٤٦٤) **المسطبة** : يقال للدكان يقعُد الناس عليه مَسْطَبة ، قال ابن منظور : قال أبوزيد : سمعت ذلك من العرب . اهـ .

[اللسان (٤٦٧/١) دار صادر] .

وتعرف فى العامية المصرية فى القرى وغيرها بالمسطبة أيضا .

وكان يقول للخياط : « اقطع وأطل فإن الشهرة اليوم فى القصر » . وقال النمرى :

يقولون فى بعض التذلل عـزة وعاداتنا أن ندرك العز بالعز
أبى الله لى والأكرمون عشيرتى مقامى على دحض(٤٦٥) ونومى على وخز

ذكرت البيوتات عند هشام بن عبدالملك فقال : « البيت ما كان له سالفة ولاحقة عماد حالٍ ومساك دهر فإذا كان كذلك فهو بيت قائم » . أراد بالسالفة ما سلف من شرف الآباء ، واللاحقة : مالحق من شرف الأبناء ، وبعماد الحال الثروة ، ومساك الدّهر الجاه عند السلطان » .

وقيل : « اصطنع أنوشروان رجلاً فقيل له : إنه لا قديم له فقال : اصطناعنا إياه بيته وشرفه » .

وعنه : « لى همة لو غرقت الدنيا فيها ما طلبت إلا بالغاصة ولو كانت الليل ما تنفس فيه صبح » .

وقال بعضهم :

ولى همة : أسمو بها وعـزيمة تبلغنى أعلا من السّرطـان(٤٦٦)
إذا النفس لم تبعثك فى طلب العلا فتلك من الأمـوات لا الحيوان

وقال الأمير الصليحى :

ولى همـة تعلو على كل همـة ولى أمل يعلو على كل أمـل
ولى حرفة تعلو على كل حرفـة صليحية ليست كنفش القبائل

قيل للعتابى : « فلان بعيد الهمة فقال : إذاً لا يكون له غاية دون الجنة » .

يقال : « فلان بعيد المترعة أى الهمة » .

---

(٤٦٥) **دحض** : زَلِقٌ . [الوسيط (٣٧٣/١)] .

(٤٦٦) **السرطان** : نجم ، يضرب به المثل فى الارتفاع وعلو المنزلة ، ويدعى المنجمون أنه يلهمهم قراءة الطالع والحظوظ وهذا باطل ، نسأل الله العفو والعافية لنا وللمسلمين أجمعين .

وقيل : « أتى دكين الشاعر عمر بن عبدالعزيز بعدما استخلف يستنجز وعداً كان وعده إياه فقال له : يا دكين إن الله وضع بين جنبى نفساً نزاعة إلى معالى الأمور نزعت إلى إمارة المدينة فَرُزقتها فنزعت إلى إمارة الحجاز فنالتها فنزعت إلى الخلافة فلما حظيت بها قالت : هي الفوز بالدنيا كلها فتاقت إلى الآخرة وترقت بهمتها إلى أهل الجنة ومارزَأْتُ من أموال المسلمين شيئا ، وما عندى إلا ألفا درهم فأعطانى ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها فابتعت بها إبلا وسقتها إلى البادية فرمى الله فى أذنابها بالبركة ورزقنى ما ترون »[٤٦٧] .

وقال بعضهم : « إنى لأعشق الشرف كما يعشق الجمال » .

وقال معاوية لعرابة بن أوس : « أنت الذى يقول لك الشماخ حيث يقول :

رأيت عرابة الأوسىّ يَسْمُو	إلى الخيراتِ منقطع القرين
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ	تَلَقَّاهَا عرابة باليمين[٤٦٨]

فبم سُدتَ قومك ؟ قال : والله ما أنا بأكرمهم حسباً ولا أفضلهم نسباً ولكن أعرض عن جاهلهم وأسمح لسائلهم فمن عمل عملى فهو مثلى ومن زاد فهو أفضل منى ، فقال معاوية : هذا والله أكرم السؤدد » .

وقال مخرمة بن عبدالملك : « ما رأيت من العلماء أهيب من الشافعى من بعيد ، ولا أبر وأكرم منه من قريب فى عيش غريض[٤٦٩] وجاه عريض » .

وقال الشعبى : « كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج » .

---

(٤٦٧) وردت بتمامها فى عيون الأخبار (١/٣٣٤) .

(٤٦٨) مناسبة البيتين أن عرابة الأوسى جمعه والشماخ بن ضرار الشاعر الطريق يوما فتحادثا فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينة ياشماخ ؟ قال : قدمتها لأمتار منها (أشترى وأبتاع) فملأ له عرابة رواحله بُرًّا وتمرًا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشده الشماخ تلك الكلمات . فكانت سبباً لشهرة عرابة الأوسى .

(٤٦٩) **الغريض** : الطرى من اللحم والتمر ونحو ذلك ، وعيش غريض أى عيش رغيد ناعم يمتاز بالرخاء .

قيل : « لما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيراً إلى عمر لم يزل الموكل به يقتفى أثر عمر حتى [عثر] عليه بالمسجد فرآه نائما متوسداً درته ، فلما رآه الهرمزان قال : هذا هو الملك الهنى ، عدلت فأمنت فنمت والله إنى قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة وأصحاب التيجان فما هبت أحداً منهم هيبتى لصاحب هذه الدرة » .

الأخطل فى عبدالملك :

تسمو العيونُ إلى إمامٍ عادل معطى المهابة نافـع ضرارِ
وترى عليه إذا العيون [رمقته][470] سيما التقى ومهابة الجبارِ

« تذكروا أشراف الجاهلية فى مجلس عبدالله بن الزبير فقال : إن كنتم لابد فاعلين فاذكروا عبدالله بن جدعان فما اقْتُسم الشرف إلا بعده » .

وقيل : « أصاب الناس بالبصرة مجاعة وكان ابن عامر يغدى عشرة آلاف ويعشى مثلهم حتى انجلت الأزمة فكتب إليه عثمان يجزيه خيراً وأمر له بأربعة آلاف معونة على نوايبه وكتب إليه لقد رفعك السؤدد إلى موضع لايناله إلا الشمس والقمر فتوخى أن يكون ما أعطيت لله فإنه لاشرف إلا ماكان فيه وله » .

وقال رجل لفضيل : « عظنى فقال له : « كن ذنبا ولا تكن رأساً حسبك » .

والله سبحانه وتعالى أعلم . تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه
وحسن توفيقه فى ثامن عشر شهر الحجة الحرام من شهور
سنة أربعة وثمانين وألف من الهجرة النبوية
على يد أفقر عباده وأحوجهم إليه
على محمد العمرى عفا
الله عنـه
والحمـد لله وحـده

(*) ورد الخبر فى « ثمار القلوب » للثعالبى (ص/٨٦) ط . دار المعارف .
(٤٧٠) كذا بالأصل ولعلها [رَمَقْنَه] وذلك حتى يستقيم الوزن .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٧٣٠ / ١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 5211 - 08 - 5

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس . ٢٤٠٠٤ DWFA UN